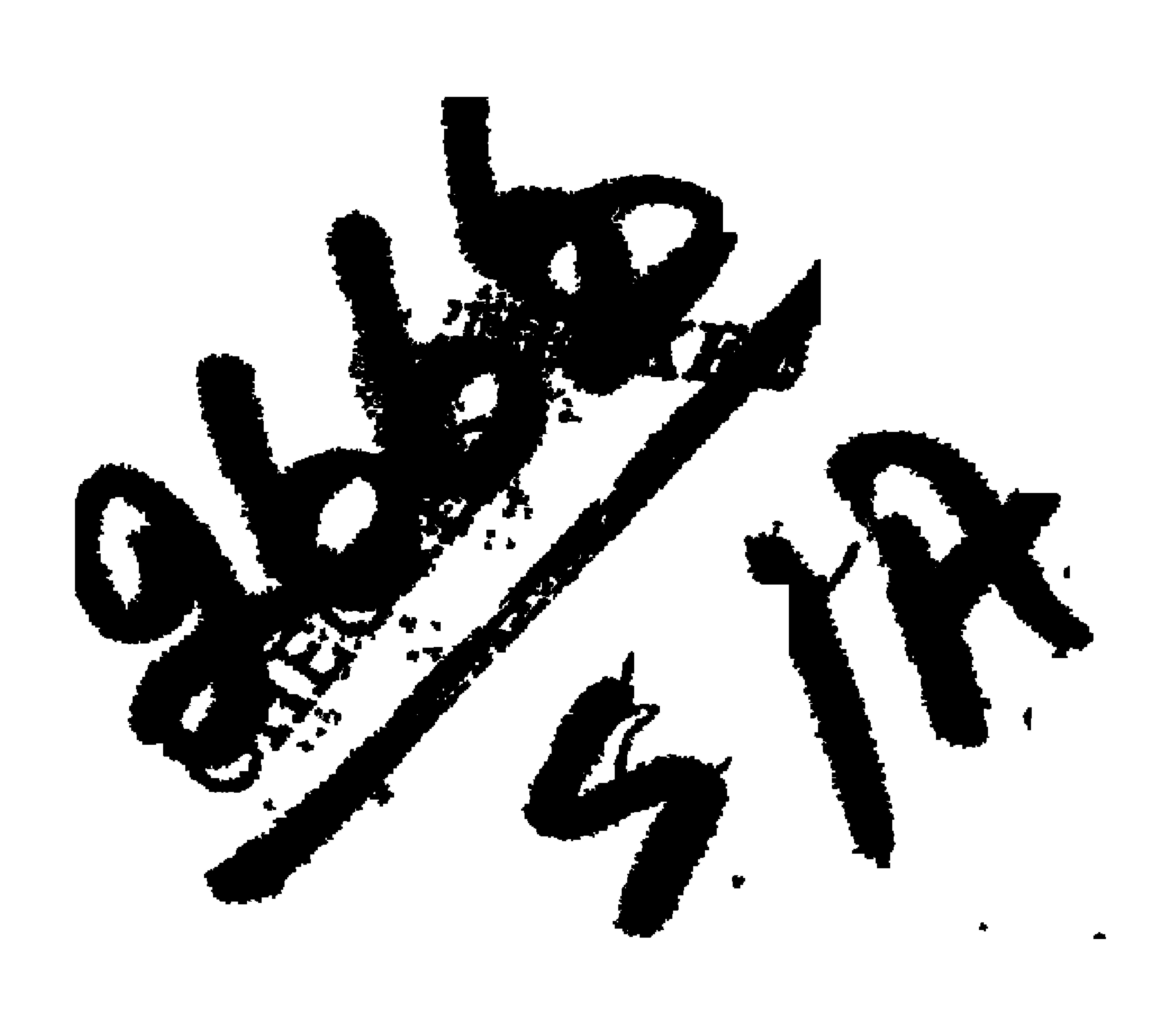
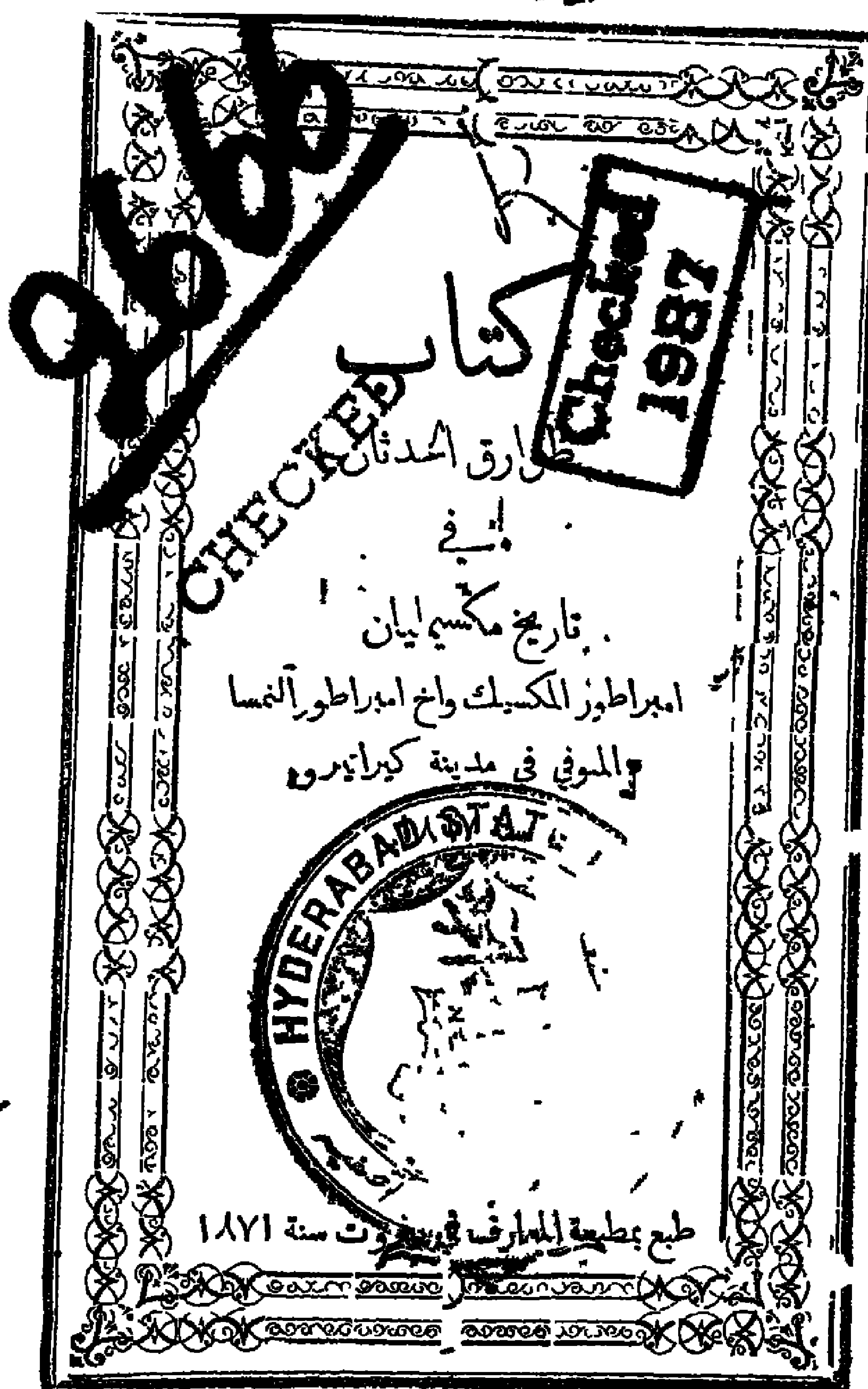




كتاب

طارق الحدثان

في

تاريخ مكسيمليان

امبراطور المكسيك واخ امبراطور النمسا

والمتوفي في مدينة كيرانيرو

طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧١

مقدمة

في جغرافية بلاد المكسيك

انه قبل الابتدا بالكلام عن تاريخ الامبراطور مكسيميليان الاول امبراطور المكسيك راينا من الواجب ان نذكر شيئاً عما يتعلق بتاريخ بلاد المكسيك ومركزها وتربتها واهلها وهوائها لانه لما كانت هذه البلاد بعيدة جداً عن مشرقنا كان التعرض لذكر ذلك مما لا يخلو من الفائدة فنقول

ان اول من دخل المكسيك قوم من المهاجرين الاسبانيوليين وكانوا يسمونها في ابتدا الامر اسبانيا الجديدة اما الان فحكومتها حكومة جمهورية ويحدها شمالاً وشرقاً الولايات المتحدة وخليج المكسيك وغرباً البحر المحيط وجنوباً كواتمالا والمحيط . وطول هذه البلاد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ٣٠٠٠ كيلومترا

ومع انها عريضة في الجهة الشمالية هي ضيقة جدًّا في الجهة الجنوبية معرضها هناك نحو ١٨٠ كيلومترًا ومربع سطحها مليونان وخمسة وتسعون كيلومترًا مربعًا وهي في ٣٢° شمالية بين المنطقة المعتدلة الشمالية وبين خط السرطان

اما شطوط المكسيك فاكثرها واطية وفيها رؤُوس ارض مرملة يقطعها من البر بعض خلجان صغيرة اشهرها جون كامبيش وفي الجهة الشرقية شبه جزيرة يوكاتان ونهايتها راس كانوش وعند الشطوط الشرقية جزيرة كوزيبل وهي الجزيرة الاولى التي كشفت من المكسيك سنة ١٥١٩ وعند مدخل جون هونديراس جزائر تورنيف وبجانب الشطوط الغربية جزيرة كرمن وهي كثيرة الاخشاب

اما الشطوط التي لجهة المحيط فهي واسعة كثيرًا ومرتفعة اكثر من غيرها وفيها شبه جزيرة كاليفورني التي في

اخرها راس سن لوقا وبالقرب من هناك جزر ريغيلا جنجيدو وهناك ايضًا جون كاليفورني الذي يقال لهُ ايضا بحر فيرميل او بحر كورتيس ويمتد كثيرًا الى داخل الارض وفيهِ جزاير كثيرة اكبرها جزيرة تيبيرون وفي اواخر حدود المكسيك وكوتمالا في الجهة الجنوبية جون توانتبيك الذي بجانبهِ البرزخ المنسوب اليهِ

وترفي هذه البلاد سلسلة الجبال الصخرية وفيها براكين كثيرة اعلاها بيوكتابتل ارتفاعهُ نحو ٢٠٠٠٠ قدم ويحدث فيها زلازل كثيرة. والمياه قليلة في هذه البلاد ولم يكن فيها من الانهر العظيمة الا نهر ريوكرانت ديلنورتي الذي يصب في خليج المكسيك عند حدود الولايات المتحدة . وفيها بحيرات كثيرة اكبرها بحيرة شبالا في الجهة الجنوبية

اما تربة هذه البلاد فهي مختلفة لانهُ بجانب الجبال الصخرة والمغطاة بالثلوج تمتد السهول والاودية

ذات الاراضي المتسعة والمخصبة وهناك المدن والقرى المكسيكية الكثيرة العدد وهناك اثار الابنية القديمة اما هواؤها ففي الجبال والاراضي المتوسطة جيد اما في السواحل فهو غير جيد ويشتد جداً الحر في فصل الصيف وتكثر فيها امراض الحميات . وفيها كثيرٌ من معادن الذهب والفضة والزيبق . وكانت سابقاً تابعة لبلاد اسبانيا كما تقدم حتى استقلت سنة ١٨٢٤ تحت الحكم الجمهوري لكنها لم تنجح كثيراً لانقسامها الى احزاب مختلفة لا يطمع في اتفاقها . ولما فتحها الاسبانيوليون في القرن السادس عشر راوا سكانها الهنود متمدنين بعض التمدن ولهم مدن وقرى كبيرة وحكمهم ملكيٌّ مطلق ذو غنى جزيل وسطوة قوية على الاهالي فقتلوا الاكابر واستعبدوا الرعايا وتملكوا البلاد واختلطوا مع الاهالي الاصليين . وسكانها الان هم من اهل اسبانيا ومن الاخلاط المذكورة ومع ان اراضي هذه البلاد هي جيدة

فالاهالي لا يعتنون بها حق الاعتنا

وتقسم هذه البلاد الى ٢٧ ولاية ومن اشهر مدنها تمبيكو وفيراكروز على خليج مكسيكو ويئوسى ومكسيكو وزكاتيكاس وكيراتيرو والديانة العمومية في هذه البلاد هي الديانة الكاثوليكية وقد حررت عبيدها وفيها نحو ثمانية ملايين من الاهلين

تاريخ مكسيمليان امبراطور المكسيك

وهو

يتضمن ماجريات حياته وموته مفصلاً

الفصل الاول

نتائج اولية

في سنة ١٨٦٠ لمّا كانت مملكة النمسا مرتبكة ومهتمة بتضميد ما ألمّ بها من الجراح التي اثخنتها بها سيوف فرنسا كانت تردّد فينيسيا[1] باضطراب ما قالهُ ألفيادي بصوتٍ متهندٍ وهو اذ ذاك على قمة ميرامار[2] اننا خدام غير اننا امناء وشهماء. اما المكان الذي كان فيهِ فهو قصرٌ عظيم البنا قائم على قمة جبل عالٍ تكتنفهُ الماء من كل جهاتهِ حاوٍ من بديع الصناعة والاتقان ما يكلّ عن وصفهِ اللسان. ذو موقع بهج جميل المنظر

[1] اسم ولاية في شمالي ايطاليا كانت تابعة لدولة النمسا

[2] قصر كان يسكنهُ الارشدوق مكسيمليان في ولاية فينيسيا

تحمل اليهِ الارياح صدى الاحزان المتعللة بالامال وكان يسكنهُ الارشيدوق فردينند مكسيمليان وعروسةُ الاميرة كارلوطا اللذان كانا يصغيان الى ذاك الصوت المطرب بقلقٍ مملٍ غير ان انصبابهما لاستماعهِ لم يكن واحدًا من حيثية الشعور لاختلاف الحس الموثر في كل منهما لان العقل الرائق الحاذق النداوي لا يشعر الاّ بالحركات الموءثرة والكر الحاذق المايل الى ارتقاء المجد والسودد لا يتصور سوى تصورات جسيمة فائتة الحد وكان اذ ذاك فردينند لا يتجاوز الثاني والعشرين سنة من العمر وكان مولده في مدينة شبيرون في اليوم السادس عشر من شهر تموز سنة ١٨٣٢ وكان هذا العظيم قبل ما احتلس من يده الايطاليون ولاية مملكة اللومبردو فينيسيان قد تزوج بالاميرة كارلوطا ابنة ليوبولدو ملك البجك في السابع والعشرين من شهر تموز سنه ١٨٥٧ حيث كان وتئذٍ قد ظفر ظفرًا عظيمًا واعد

بذاته طريقاً واسعاً سهل له المُلك فلم يتاسف من ان
يكون قد اضاع وقتهُ باطلاً واذ كان متيقناً انهُ لا بد لمملكة
النمسا من قوَّةٍ بحريَّةٍ تضمُّها الى قوتها الحربية مال بكليتهِ
الى خوض البحار فانتظم في سلك العمارة الامبراطورية
وهو فتى يحوي من العمر السبع عشرة سنة واذ جرى
عليهِ الفحص وظهر شديد ميلهِ الى ذلك تقلد الوظائف
المهمَّة في سنة ١٨٥١ في مركب جائل يحافظ على جوانب
ايطاليا وفينيسيا وكان يتردد لزيارة نابولي وليفورنا
وكاديس وجبل طارق وكرنياد وقرطجنة وسار جائلاً
الى سيسليا ومدن باليارا حتى وصل الى ليسبون ومادر
واخيرًا تسمى قوماندانًا في الكورفية المسمَّاة ميترفه وارسل
بامر الى البانيا ومنها سار الى الجزائر وذهب ايضاً الى
ماهيا الى ان مضت عليهِ خمس سنوات في خدمة
الوظايف البحرية وفي اثناء هذه المدة كتب كتابهُ
المسمى اسكيس دوفوياج (اي تخطيط او رسم الاسفار)

وهو خمسة مجلدات صغيرة وقد اشتهر اخيرًا ما كتبهُ
سنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٥٦ من الشعر المحزن المحبوك المملو
بالبسالة التي كانت تعرب عمّا اتصف بهِ هذا الامير الشهم
عند ما نظر قتال التيران في اسبانيا . ومنهُ انني اهوى المواسم
والعوائد التي بها تظهر الطبيعة البشرية بحقائقها الاصليّة
وافضّلها على مواسم بلادنا التي هي ليست سوى تشوذات
فاسدة مشحونة بالمخنخات التي لا طائل تحتها فان هنا
التيران تتقاتل بشجاعة وهناك تتلالا العقول والافكار
منيرةً ثم تندثر وتضمحل باحساسات الجبن والخداع
فلا نكر حبة تلك الاعصر القديمة تلك التي بها العقول
الثاقبة الفوادية كانت تسرح متنزهة في المبارزات
الطاهرة من سفك الدماء والعدوان التي كانت بها
النساء غير مقشعرات عند نظر الدم سائلاً على الحضيض
والتي بها كانت تُطارد الوحوش المفترسة في السهول فانها
اعصر جاهلية ذات رجال اشدّاء وليس تلك التي

ملذاتها التنعم والافتراء فما الذي حفظناه عن اجدادنا
من المناصب العظيمة التي تتفاخر بها الرجال. فاذا
قيل الصيد نجيب نعم غير ان تسمينا بهِ عنهم لا يطابق
المسمى لاننا نطلق رصاصًا قتالاً لا شبهة فيهِ على طيور
اهلية لا يمكنها سوى التصفيق باجنحتها ثم محاربة بعضنا
حربًا لا يقلعهُ منا شديد محبتنا الجنسية ومزيتين
اخرايتين يحفظها شعبان ولم يدركها الانحطاط تماماً ولها
صيد الثعالب في انكلترا فيخوض كل فرد منها لجج
اخطار قوية ولا يعبا بالموانع التي تصدهُ عن الوصول
الى قصدهِ وما احلى ما قيل بهذا المعنى. لا تعرّض نفسك
لاخطار لست اهلاً بها. وازيد عليهِ من يحاول ركوب
متن الاخطار التي لا فائدة منها فلا يكون لهُ اقدام على
اقتحام المصاعب التي لا مناص منها. وثانيتهما هي قتال
الثيران في اسبانيا وهو موسم قد اشتهر في الاعصار القديمة
ولا شك ان بهذا القتال تتهيج حميتنا وحماستنا ان من

منا يشعر عند مشاهدته مشهداً كهذا لا يشعر عند مشهد دونهُ وربما تبقى لهُ قوة ولا تسود عليهِ الخيانة وعلى نوع ما يكون قد حافظ الشعب الاسبانيولي على بعض ما تخلف من اجدادهِ وعلى هذا الموسم الذي تقلدهُ عنهم انما كل شيء لهُ وقت وكل مزاج لهُ حق وبتغيير الاحوال لذة المعيشة . فهذا الامير العظيم القدر الذي كانت تدهشهُ الاخطار وتسحر لبهُ الاهوال والمهالك لم يكن بطيء الحركة مطيء النفس قليل الشجاعة بل انهُ قد اظهر ما انطوى عليهِ من البسالة حينما تبوأ تخت لومبرديا . كيف لا وهو حفيد ليوبولدو الثاني الذي اكتسب في توسكانا لقب اب الشعب فكان حرياً بان ينتسب اليهِ ولحنكتهِ وقد عرف كيف يغرس لهُ ميلاً بقلب شعب ايطاليا وينسخ من ذهنهِ فعل سيف النمسا الذي تعتعهم بقولهِ لهم . انني لما نظرت نفسي مالكاً زمام مملكة اللومبردو فينيسيان رايت انهُ يجب عليَّ ان اشعر بالدم الايطالي

الساري في عروقي واتعهد بتقدم شعب احبهُ جدي السعيد الذكر واخذ عهدتهُ عليهِ

فكان يتراى لهُ ان يرد الى مملكة اللومبردو فينيسيان حريتها المطلقة وان يعطي الاهلين الحرية وان يحول البنايات الملوكية المطلقة التي انشاها الهبسبورغيون[1] الى حكم مقيد وقد طرق ذهنهُ هذا الفكر قبلما دوت مدافع بالسترو وارجعتهُ عن شططهِ الى حيز الصواب فلم حينئذ السيف مع الاوامر التي تشجب استعمالهِ الى الفلد مريشال جيولي ولشفقتهِ هذه امتنع مكسيمليان من عمل شيء في ميرامار ولم يستند سوى التاسف على عدم افادة اتباعهِ وعلى عدم انقاذه النمساويين من الوهدة التي سقطوا فيها ولهذا اجمعت الاراء على استقامة مكسيمليان وسلامة قلبهِ وشفقتهِ وحنوه وتظهر حذاقتهُ مما حكي عنهُ انهُ في ذات يوم عندما ذكر

(1) اسم العايلة الامبراطورية النمساوية

امامهُ عن ترتيب نظام بوسطة فرنساوية غير اعتيادية لاجل المكاتيب المشبوهة اجاب ان هذا عمل فظيع عديم الفايدة وهو شين بحق المالك لويس فيليب الذي اجراه ولا ادرى كيف ان نابوليون لم يشعر بان ضرر امور كهذه هو اكثر من نفعها وهكذا لما زار فلتيلين[1] ومرَّ على مئة ضيعة ماهولة بقوم صعاليك قد اعياهم الفقر وانحلهم الجوع وانكرهم الضعف من جرى الذل والعبودية تأثر من هذا المنظر وقال. ان حالة فلتيلين الحاضرة هي تصاوير تشير الى العوايد الشنيعة والاعمال السيّئة التي لم يزالوا يرتكبونها وتبكيت للحكومة على زلاتها المتكاثرة فيجب اذاً محو هذه العثرة الوخيمة من سبل الاحكام لان الفاقة والجوع ربما يميلان اولياء الاحكام الى العصيان فتهدم مراكز الامنية والراحة العمومية الى اساساتها. وماذا كريلوح للقاري ما اتصف بهِ هذا الشهم

(١) اسم ولاية في بلاد السمسا

من السجايا الحميدة التي يحق لصحف التاريخ ان تتزين
بها ولجيد الاسطر ان يتحلى بنظام عقدها وكان هذا
المفضال طويل القامة غير ان عينيهِ الزرقاوين كانتا
ممتليتين رحمةً وشفقةً وولحتهُ طويلة شقراء يضفرها على
نصف راسه ذا صلعةٍ طبيعية وكان فمه كبيرًا الكبر
وضخامة شفته السفلى المرتخية التي تشير احيانا عن صفة
ليست من صفاتهِ بل من صفات المبسبورغيين الخصوصية
وكان شديد الاعتنا بتصنيف لحيتهِ التي كان يستعمل لها
علاجا خاصا اكثر من شعر راسهِ كثير اللهو بها عند
تكلمهِ واستماعهِ حديث آخر. وكان محبًا الجولان في البحر
مع ان جسمهُ كان ينزعج منهُ كثيرًا. واذا اتاهُ ضيف او
زائر خصوصي يستقبلهُ في جنينتهِ ويتحادثان وهما يمشيان
في عرصتها ولم يدع صحبته للوحدة والانفراد تتملك
عليهِ بل كان يقهرها ويظهر لضيفهِ التبسم وحسن
المسايرة ويسمع كل النكات المضحكة التي يحدثونهُ بها

ولم يتاخر عن ان يقص لهم نظيرها مما اكتسبهُ من اسفاره ولتواضعهِ لا يرغب شكران احدٍ لهُ وتعظيمهُ اياه بل كان يتنازل غالبًا عن هذه الحقوق والالتاب الى عروسهِ عندما لا يدون ذلك حقوق سيادتهِ في المحضر وكان لين العريكة حسن المسايرة رقيق الجانب انيسًا متواضعًا يسامر كل واحدٍ حسب مشربه ويجيبهُ بكلمات تسره محبًا للتنزه في جناينه بدون ان يشغلهُ ذلك عن القيام بحق وظيفته فلم يكن لهُ نظير بين ارشيدوقية انمسا الذين يبلغ عددهم سبعة وعشرين ارشيدوقًا. وكان اولهم واحسنهم عضوًا في جمعية العلماء (اكاديمي) ومولفاته تشهد لهُ بذلك مع انهُ لم يكن علامةً لانهُ لم يوسس علمهُ على اساس وطيد غير ان جودة عقلهِ وحسن مذاكرتهِ ورغبتهِ وتفقههِ الطبيعي اوجدت فيهِ هذه الخاصية ومع انهُ كان متصلفًا وكثير التمسك في رايهِ كان يذعن حالًا لكلام غيره وهاتان الصفتان قلما توجدان بانسان

اما امرأته الاميرة كارلوطا فكانت تختلف عنهُ كثيرًا وهي حفيدة لويس فيليب وكان عمرها حين موت والدتها عشر سنوات وقيل انهُ بينما كانت المرحومة والدتها تتفرج على قتال الثيران رات فلاحًا مندهشًا عند نظرهِ ذلك وهو يتحسر قائلاً لو كنت املك واحدًا من هذه الثيران لكانت حالتنا احسن جدًّا مما هي الان ولما رجع عند المساء الى بيتهِ وجد الثورين اللذين راهما مربوطين في اسطبلهِ فخرج حالاً ليعرف من فعل معهُ هذا الجميل واوجد لهُ هذه السعادة فنظر امامهُ امراة صبية واقفة على قارعة الطريق ماسكة بيدها ابنةً ذات شعر اشقر اجعد وعينين زرقاوين حسنة المنظر كانها ملاكٌ سماويٌّ فعرفها انها الملكة وابنتها وانهما كانتا في زيارة احد الفقراء حسب عادتها وربما هما اللتان صنعتا معهُ ذلك ولما بلغت الاميرة كارلوطا سن السبع عشرة سنة تزوجت باخي جلالة امبراطور

النمسا الارشيدوق مكسيمليان والي مقاطعة اللومبردو فينيسيان . فنظرت انه قد انفتح امامها باب للتقدم والنجاح وحدثتها نفسها بنيل المعالي الى درجة لاحد لها وتخيل لها انها ستتبوأ عرش فينيسيا مع المحافظة على كرسي ميلان وربما افتكرت انها ستكلل بتاج مالك اللومبرديين وتزين به جبهتها المهيئة للبس اكليل الملك وكم من مرة عيناها المتسعتان النيرتان قد اعربتا عن افكارها المستعرة بنار رغبة الفخار وكم من مرة شفتاها القرمزيتان كانتا تذبلان عند ورود امر من جلالة الامبراطور فرنسيس يوسف او كتاب من جيولي يخبرها انها ليست ملكة البحر لتحكم في فينيسيا وكانت تتمزق احشاؤها عندما تفتكر كيف ان فرنسا كسرت صولجانها اللومبردي لامتلاء افكارها من محبة السمو والمجد والسيادة حتى انها وهي في ميرامار كانت تشخص تلك الافكار والمراسم التي تصير في فينيسيا وتلك الزخارف

الملوكية وكما كان زوجها مشتغلاً بتقويم وتخطيط روضتهِ او بكتابة شيء من حيثيتهِ كانت هي منهمكة بتعديل ما كانت مستعدة اليهِ من زينةٍ وتعملها بتصورات الالقاب والاوصاف الرائقة التي قد انتخبت من مدينة ارنجوير نفسها وكانت لحبر بيضاء اليد ذات اوصاف جيدة حسنة لافتراء مساعدة للمتزوجين. ومع كل ما كانت عليهِ مما جعلها سكرى بخمر الوهم كانت تفتكر بالمجد الذي ورثتهُ من اجدادها ناظرة الى ما هي عليهِ الان والى الامواج التي تكتنف قصرها. وقد انتهت بتصديق ما توهمتهُ وتخيلتهُ وعللت نفسها بنوال اكليل الظفر لان هذه التصورات التي ملكت قلبها تجسمت واخذت مركزاً حسناً فرات عن بعد هذا التاج الوهمي الذي وعدت نفسها بهِ برز الى الوجود وكان يتقدمها مع اشخاص يحملونهُ من اوساط البحر ولم يبقَ مانع لذلك سوى قبول زوجها فصار الامر سهلاً على نوعٍ ما

وفي شهر كانون الثاني سنة ١٨٦١ كان الجنرال مركيز لابوشيه (اي مركيز الجزار) وهو رجل قصير القامة اسمر اللون نحيل الجسم عبوس الهيئة معوج المسلك متنحياً عن اعين الناس في ثلابلم وهي على مسافة اربع ساعات من مدينة مكسيكو. وقد لقبهُ المكسيكيون بذلك لانهُ كان رجلاً سفاك دم واصحابهُ كانوا يدعونهُ ليوردو والمستهزئون يسمونهُ ليوبوردو وكان قد اصطحب رجلاً يسمى ميرامون منذ نصرة جوارز وترتيبهِ قوانين النظام سنة ١٨٥٩ فكان ميرامون ينال مشتهياتهِ بواسطة المركيز لانهُ كان كثير الحيل حتى انهُ التزم اخيرًا ان يلتجي الى الامكنة غير الماهولة ليامن نفسهُ من الباحثين عليهِ ولاسباب شتى غير هذه لان مقاصده الخبيثة لم تتوقف على مناقضة قوانين بلادهِ او على تهييج العساكر ضد الحكومة بل انهُ تجاسر ان يهجم على محل سفارة انكلترا. وزور ختم

الحكومة الذي بهِ سلامة وامنية الشعب في ايام المخاوف والحروب وسرق سبعة ملايين من نفس صناديق السفير ولو سمحت لهُ الفرصة لفعل اكثر من ذلك لان شرذمة من عساكر جنرال فيئة سنتا انّا قد اعترضتهُ وانتشب بينهما موقعة مهولة بعد ما قتل وجرح كثير من الفريقين ووضعت الجرحى في مستشفى تابوكان . واذ كان قد ازدحم الموضع بالمرضى ولم يعد كافيًا لهم امر بتخليتهِ وقتل من فيهِ من اعدائهِ ورفقائهِ وهذا العمل من بعض ما حمل اهل مكسيكو على ان تلقبهُ باسم الجنرار مركيز وفيما كان ملتجئًا في ثلابلم سنة ١٨٦١ متألمًا لعدم امتلاكهِ فرصةً بها ينال ماربهُ ومتشوقًا لينظر وطنهُ وصارفًا وقتهُ بممارسة فن القواص بالفرد اقبل عليهِ رجلٌ معروفٌ باسم ليسانسيا (١) اكيلار . وكان مركيز من اعرف

(١) اي شخص كان عسكريًا تم اخذ الرخصة ليكون خارج النظام الّا انهُ يحضر عند الطلب .

الناس بهِ وبمداخلتهِ مع المهاجرين(1) الذين هم من معتبري
البلاد نظير المونت وهيدلكو وكتيارز دواوستررادا
وبامتزاجهِ مع حزب الكهنة ومعاملتهِ مع مكرلا باستيذا
رئيس اساقفة مكسيكو الموجود حينئذٍ في رومية فعلل
ذاتهُ ببلوغ ماربهِ ظانًا ان مرسح الحرب لم يخلُ عنهُ
وانها تعد لهُ ايضاً غنيمة يفترسها فكان يتعزى و يقنع بهذه
الامال وماطوحهُ الى ادراك المطلوب ما قالهُ ليسانسيا
دو اكيلار كل رجل يتعاطى مهنةً اي صاحب القلم
المشورةَ وصاحب السيف العملَ بهِ . واذ كانت قد
تمت العهود في الثامن عشر من شهر كانون الثاني فيما
بين وزير سنتا انا و بين نايب ميرامون السابق واتى بها
تحارير سرية الى مكسيكو صحبة بارجة هندية وجملتها
امر لاكيلار ما لهُ ادخال مركيز في سلك العسكرية
فعرف حينئذٍ هذا الجنرال الحاذق مركيز بان وقت

(1) كل شخص بمجروطنهُ و يسكن في بلاد اجنبية او في
غير بلده بعيدًا

اصلاح فساد السياسة الحربية والعمومية قد اقترب
ولكنهُ لم يعرف اذا كان ذلك برقعارءِ اينتج عنهُ امرٌ آخر
(وعلى كل كان معتقدًا بخرافات العالم القديم) فباشر
لساعتهِ بتعيين اشخاص بينما كان اكيلار مشتغلاً باحياءِ
مديرية عمومية ليكون رئيسها ومديرها. وكان اذا امر
بشيءٍ يقول. امَرَ الله. وكان مزمعًا ان يمضي ثلاث
سنين على هذا الحال قبل ان تشهر الجمهورية برقعها
المعنون. الحرية وعدم التعلق. اما مركيز فلم يكن سوى
آلةٍ لابراز عمل الفاعل لان قوتهُ العاملة كانت
بعيدة عنهُ خارج بلاد المكسيك اذ انهُ منذ ثلاثين سنة
كان قد سبب نفي كيتيارز دواسترادا الذي هو عمدتهُ
بواسطة افكارهِ لمحبة السيادة والسلطة من حيث انهُ
كان الرجل الوحيد الذي خدع بصبرهِ وحذقهِ
الممالك الاربعة. وهي ميرامار وروميه وفينا وفرنسا التي
صيرها آلةً لهُ ونال مطامعهُ بواسطتها وقد اعلن من زمان

طويل وجوب وجود سلطنة في المكسيك ففي سنة ١٨٤٠ طلب من انكلترا وفرنسا التوسط بهذه المسئلة كما انهُ اوضح هذا في جميع دواير اوربا ومجالسها باقراره الذي مالهُ ان بتثبيت النظام العمومي في المكسيك تسهيل المعاملات التجارية بين امركا واوربا وتامين الاموال الموجودة في خزاين المكسيك فان بها تنصرم المشاجرات والمقاتلات الردية وترتفع تلك المجادلات الخبيثة الواقعة بين الممالك الاجنبية والحكومات اليومية التي تتمخض متوجعة من ظلمها اهالي المكسيك.

وهذه المسئلة الخداعية كررها مرة ثانية سنة ١٨٤٧ لكنها لم تنجح حتى انهُ اشهر اخيرًا كتابًا اعلن بهِ وجوب تجديد عرش منتزوما وفي سنة ١٨٥٤ توطدت امالهُ ومشتهياتهُ فامل بالنجاح لانهُ بعد عشرين سنة في مباشرتهِ هذه المسئلة الخداعية التي طرز بها صحفًا عديدة ولم تنجح وقعت اخيرًا تحت هيئة رسمية لحصولهِ على الايضاح الاتي من

الجنرال ردسنتا انًا رئيس الجمهورية المكسيكية. وهو
ان السلطنة هي الحكومة الواجب وجودها في المكسيك
وبالوقت ذاتهِ حرر كتاباً بتاريخ غرة تموز سنة ١٨٥٤ استعمل
بهِ سلطة قلمهِ ليقنع اعضاء شوريه لوندرا وباريس
ومدريد وفينا وفي غضون اهتمامهِ مدة سبع سنوات
باجراء هذه المسئلة حتى كاد يظفر اخيرًا بمرغوبهِ بعد
ما ارتبك ارتباكاً عظيماً اعد امبراطوراً العرش المكسيك
وهو امير من النبلاء الكاثوليكيين من عائلة هبسبورج
لان فرنسا وانكلترا واسبانيا اخذت بتسهيل الطريق
لهذا الفرد الشجاع فنجحت مقاصد هذه الممالك الثلاث
ولم يُظن بان تصورات هذا الرسول الذي نوَّه عن
سلطنة المكسيك تنجح هكذا فارتفعت الموانع وهدمت
المقاومات واعطيت الكفالة وتقرَّرت المواعيد ولم يبقَ
صعوبة سوى بايضاح البينات والشروط اللازمة
والاصطلاحات الواجب ممارستها في معاطاة الاعمال

والمفاوضات وهذا الامر لم يعرفهُ احد سوى كيتيارز دواسترادا ولم يفصح بهِ بل اخذه معهُ الى القبر غير انهُ قد اشار اليهِ بتوضيحات خفية لارفاقهِ ومساعديهِ كالقونتة لوكسوف نديمة الارشيدوقة كارلوطا في ميرامار ومكر دولا يستيدا والجنرال المونت وعائلة ارازو والخواجات هيدلكو وميرامون الذين كان يرسلها للمخابرة في اموره الى باريس ولوندرا ومدريد

ومع وجود هذه المصاعب لم تتاخر الممالك المذكورة عن ايجاد طريقة لحل هذه المشاكل وكانت هذه الطريقة التي وجودها طبقًا لارادة كيتيارز دواسترادا لانهُ في شهر كانون سنة ١٨٦١ ارسل مكسيميليان الى المكسيك تحريرًا طويلاً في اللغة الاسبانيولية مظهرًا لهم قبولهُ بالاتحاد معهم وقبول اكليل اوتربيد بشرط ان فرنسا وانكلترا تمدانه بكفالة مادية وادبية برًا وبحرًا وهذا الشرط الاخير وُضع احترازًا من شرٍّ يحرك هذه المسئلة

الذي رجع الى مخابراتهِ مع المجالس الشورية واظهر لهم
تمخض المكسيك باوجاعها واضطرابها منذ نصف جيل
واخبرهم ان لفرنسا مداخلة قوية في ذلك. ثم انهُ لما
ارسل الجيش الاوربي الى المكسيك كاد يحمل المكسيكيين
على تصديق كلام كيتيارز ويظنون ان ذلك مما يأول
الى تهييج ثورة خلافاً لما اشيع من الاخبار وان ذهابهُ
كان لمجرد التنزه فانهُ لو كان الامر كذلك لما كان
لزوم لاضطرار الى المصاريف والاستعدادات الكاملة
الحاضرة. وليس ذلك فقط لانهُ بترتيب سلطنة
في المكسيك تحيا اداب وسياسة الشعب اللاتيني في
العالم الجديد وبها تتخلص امةٌ مما هي فيهِ وتظفر باكليل
المجد الثمين وينفتح لها باب التقدم والنجاح والسلطنة
والتمدن الاوروبي وهذه كانت نتيجة مسئلة كيتيارز
دي ستردادا اما انكلترا فكانت على حيادةٍ في هذه
المسئلة اما فرنسا ففهمتهُ وقبلتهُ وبما ان هذا الامر ليس

من متعلقات هذه السيرة كليًّا فتطلب حقيقتهُ من
التاريخ وعلى السياسة المخابرة بهِ واظهارهُ للعيان. واما
اعمال المكسيكيين في مدة انتخاب امبراطورهم فكانت هكذا
انهُ سنة ١٨٦٠ بعد هذه الحوادث التي جرت وبعد ما
حصلت البلاد على السكينة والراحة التامتين وسكن العالم
بعد اضطرابهِ ورجعت الامنية الى اوربا تهيَّجت افكار
جيوارز رئيس الجمهورية وانتخب لهُ وزيرًا من ذوي
الشرف والعقل وهو الجنرال دو بلادو ذو الكتابات
التي هي على غاية ما يكون من التوقيع والاتقان ومما
يقول فيها. ان الفرصة حسنة لتوطيد حكومة مستقيمة
فلنباشر اذًا الى ذلك. ولكن بئس التوطيد والراحة
لعدم دوام هذه السكينة فان بلاد المكسيك مديونة
للاجانب دينًا باهظًا بسبب الحرب الاهلية ولذلك لم تكد
تتوطن الحكومة الجديدة حتى اصبحت هدفًا لمطاليب
الديون الباهظة فطلبت مهلةً يمكنها بها معرفة قيمة

الديون وحقيقتها ولترى اذا كان يمكنها تصفيتها . غير ان
طلبها هذا لم يوافق ارباب الديون الذين بنفوذ نقودهم
قد انضروا ضرراً جسيماً حتى ان فرنسا وانكلترا واسبانيا
اعتمدت اخيراً على اجبار الحكومة لدفع هذا المبلغ ففي
٣٠ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥١ اتفقت الممالك
الثلاث على اجبار الحكومة لدفع هذا المبلغ الذي
جرت عليه المعاهدة او انها تقدم لها كفلا مقتدرين في
المال والشرف والحماية وعلى هذا الاتفاق زحفت
جيوش فرنسا الى مدينة فيراكريز (وهي مدينة في
امريكا على شاطي خليج مكسيكو على بعد عشرين درجة
تقريباً شمالاً من خط الاستوا وموقعها الى شرقي مدينة
مكسيكو) وكان وصولهم في اواخر سنة ١٨٦١ غير ان كيفية
اختلاس اوريزيا وكوردوفا واتفاق اسبانيا وانكلترا
على اخذ سوليدار بقي مجهولاً ولماذا رفضت فرنسا ما
هو مغاير للالفة الوطنية او كيف ان وجوب دفع

الاضرار المالية صار سبباً لافتتاح المكسيك فذلك أمرٌ غريب قد اشتغل بهِ العالم باسرهِ . وعلى ظني ان لا احد ينسى اعمال الجنرال لورنسز الشهير ومدافعته الكاذبة وحصارهِ الثاني في بيابلا (وهي مدينة في جنوبي مكسيكو) واخذه مدينة مكسيكو نفسها ولا انتصارات الجنرال فيوري والجنرال بازين الذين تسطرت اعمالهما امام فرنسا الى الابد وهكذا كل هذه الفتوحات والانتصارات التي اكتسبتها جيوشنا قد اكدت لنا ان ما حملنا عليهِ كيتيارز دو واستارادا وارفاقهُ لم يكن اصلاً سليم العاقبة لان نتيجتها شرٌّ عظيم . واما المحذورات التي كان يخشى منها في ميرامار فرجعت ثانيةً لان مكسيمليان رجع لعدم قبولهِ وانقلب ذلك الميل الذي كان عنده وتحول الى افكار محزنة بها فسدت مقاصد المهاجرين لانتقاض مشوراتهم من اناس عارفين اكثر منهم بهذه الامور لانهُ لما طلب مكسيمليان ما طلبهُ عما خص تبوأهُ

عرش المكسيك اجابهُ دانوبريتي بعبارات الانكليز
بلسان انكلترا. ان الاستعلامات التي وقفت عليها من
اناس عارفين بهام الامور حملتني على الظن بان الحزب
الاحسن الذي يؤمل منهُ توطيد سلطنة في المكسيك هو
حزب الاكليروس وبناءً عليهِ ارى انهُ لا طمع بالحصول
على نوال المرغوب من هذه الامة التي يظهر انها معدة
لسياسة حرة مطلقة فالمسئلة لا تتوقف على النظر في
ما يوافق اصلاح بلاد المكسيك بل على ان ترى ما
هو ميل وقصد شعب المكسيك. ولذلك ارجح الآن ان
اكثرية الاصوات تكون متجهة الى طلب الجمهورية.
وفي ذلك اشار بخطابهِ المرشال او دونيل بحرية تامة.
انني لا اقول سوى ما قلتهُ مرارًا وهو انهُ لو قدم لي تاج
المكسيك ولم اكن ارشيدوقا او برنسًا بل كنت على
الحالة التي انا عليها ضابطًا اسبانيوليًا لرفضتهُ بلا مراجعة
لانني حتى الان قد مضى عليَّ زمن طويل وانا بالمعاطاة

مع شعب المكسيك . ولما كنت كيتاناً جنرالاً في كوبا
ولم اتعلم عوائد تلك البلاد واصطلاحاتها السياسية
مع وقوفي على كل شيء بالتدقيق رايت انهُ لا يمكن
لملك اوروبي ان ينجح بتوطيد السلامة والنظام بينهم .
ولا شك ان هذه الايضاحات تحمل الانسان على
الفحص المدقق في عاقبة الامور وبما ان افكار مكسيمليان
كانت متشوشة من هذا القبيل اثرت بهِ هذه البينات
جدّاً واذ عرف كيتيارز دواسترادا بما جرى راى ان لا
سبيل لتلطيف ما وقف عليهِ مكسيمليان الاّ سرعة تتميم
ايجاب الامراذ با لحاجة يحصل المرغوب . ثم بعد دخول
العساكر الفرنساوية الى مكسيكو ترتب حينئذٍ حكومة
مؤقتة دارمة تحت ادارة الجنرال فوري وموسيو روبوا
دو ساليني والجنرال الفونس رسالاس ورئيس
الاساقفة لابستيدا وهولاء هم المرئيسون ومن بينهم
لستيسيادو اكيلارو الجنرال مركر اللذان القيامسئولية

طلب مكسيمليان على طغمة الاكليروس وعقد جمعية
في قصبة المملكة موءلفة من الاشراف ليتفقوا على
تنصيب حكومة مستقلة وعلى ذلك بلغت الاصوات
٢١٣ صوتًا لاكيلار و٢١٥ صوتًا ضده فقرَّ الحكم حالاً
على تنصيب الارشيدوق مكسيمليان امبراطورًا وفي ٣٠
من شهر تشرين الاول سنة ١٨٦٣ توجه موسيو
كيتيارز دواسترادا الى ميرامار بالنيابة عن الجمعية
ليقدم تاج الامبراطورية الى مكسيمليان اما اعضاء هذه
العمدة فهم الاب ميراندا واكيلار والوزير هبدلوكو
والخواجات ولف وسوارز بيرادو واسكندون
والكيزياس ولودا فقبل الارشيدوق ذلك ثانيةً
واشهر جوابهُ حالاً في الجرايد الفرنساوية واول من
ذكرهُ المونيتور غير ان المسألة لم تنتهِ على هذا الوجه
لان الاخبار انتشرت في اوربا بان سرعة مبايعة
الاشراف كانت فاعليتها جزئية وانهم اطاعوا لموافقة

الحال الحاضرة وهم مستعدون على مداومة مقاومة فرنسا رغمًا عن انتصاراتها وانهُ من الان فصاعدًا تكون اشهر مدنهم مركزًا للعصيان وان السكينة والراحة لا تكون الا في الاراضي التي تسكنها الجيوش الفرنساوية المحافظة وبذلك تقوت هذه المسئلة واشتد الحاح الاكليروس . فاعلن الجنرال فوري امرًا بهِ يبيح اختلاس اموال حزب الليبيرال (وهم الذين لا فرق عندهم بالرتب والغنى بل تستوي عندهم الامور) الذين لا يسلمون سلاحهم . ومع ان هذا الحكم لم يكن مقبولاً في باريز فنتج عنهُ شرٌّ عظيم وحدث ايضًا شرٌّ اعظم منهُ لما اظهرتهُ البلاد المتحدة من اميالها ورغوباتها . فحرر لنكولن رئيس المشيخة كتابًا الى جوارز مآلهُ . اننا لسنا بمشهرين السلاح ضد فرنسا ومع ذلك كن انت مجتهدًا بجمع الاموال واعداد المدافع وتعيين جيش طوعي يمكنهُ ان يفيدنا ويساعدنا اذا اضطر الامر اليهِ . وفي هذا الوقت كانت امريكا

الجنوبية تخسر من اراضيها خسارةً بها تاكد لدى العموم انهُ بعد نهاية هذه الثورة لايتاخر العالم الشمالي اذا كان ظافرًا على مهاجمة حدود نكسين. واقامة عساكر في سنورا وتاموليباس

ثم ان قبول مكسيمليان الامبراطورية كاد يتوقف مرةً ثالثةً لفتنة جرت بينهُ وبين اخيهِ ناتجة عن اجراآت رسومات جديدة وبهذه الفتنة قد تهيأت للامبراطور فرصة كان يمكنهُ بها ان يتنزل عن قبول التاج بخلاص حسن ولو انهُ بعد رجوعهِ من باريز في شهر كانون الثاني سنة ١٨٦٤ وذهابهِ الى رومية لتوطيد صولح الاكليروس وجد محبة وامدادًا ومساعدة لما كان حظهُ على ما كان عليهِ. ومع ان قداسة البابا اقتبلهُ بترحابٍ واكرام فاشترط عليهِ ان يرد الاموال الاكليريكية الى وكلائها الاجانب والوطنيين. حيث ان البلاط الروماني لايسمح بها وهذا الشرط هو من

جملة شروط القونقورداتو التي صار امضاؤها الان ما
زرعهُ في عقولهم ذلك الحبر النحرير في مكسكيو وقع في
ارض جيدة. وهذا كلهُ لم يكن من صوالح الامبراطورية
اما الارشيدوقة فكلمارات التاج يقترب منها كانت تراهُ
يتباعد عنها مسافة ولذلك قل صبرها وفرغ احتمالها
وامست قلقةً لثبات افكارها واميالها التي وعدت نفسها
بها قبلاً. ولحذاقتها لم تبح لزوجها مرغوبها بنوال هذا
التاج بل كانت تستعمل الوسايط الخارجية وكاتبت
باريز ورومية وفينّا وهي في ذات ميرامار. واستعملت
كل قوة عقلها وحذاقتها ودرايتها حتى نجحت. فالظاهر
ان التقادير انحرفت مع هذه الامبراطورة لان الجنرال
بازين كان قد انتصر انتصارًا عظيمًا وادرك في مدة ستة
اسابيع كل مقاصد جوارزا التي اسسها بينما كانت تجتمع
العساكر الى مكسيكو وكان قد افتتح اوكسا كا وهي اقوى
مدينة اجتمع اليها الليبيرال وعند عودتهِ منها الى

المكسيك شيع موضحًا خيانات رئيس الاساقفة لابستيدا
واما جيوشهُ فقد نالت جزاء اتعابها عند عودتها الى
باريز . ولما تقرَّر ترتيب قرض مائتي مليون حضر
الجنرال لابيف (وهو امير الاي جيوش نابوليون
الثالث) للمثول بين يدي مكسمليان ليمهّد الصعوبات
المانعة لاجراء ذلك مصحبًا معهُ تحريرين من الامبراطور
بهما يتسهل الامر ويصطلح حال المكسيك ويكون
كسبٌ لفرنسا وعلى ذلك امضيت شروط ميرامار
وفي ١٠ نيسان سنة ١٨٦٤ قبل الارشيدوق بكل صعوبة
تاج الامبراطورية المقدم لهُ سابقًا في ٣ تشرين الاول
سنة ١٨٦٣ وذهب مع امرأتهِ من ميرامار راكبًا على
اجنحة فرقاطة نمساوية تسمى لانوفارا . الّا ان ايامهم
تنغصت في هذه المدة الاخيرة التي صرفوها في قصرهم
المحبوب لامور جرت لهم فتفئلوا منها لان عشيهم ووكيل
خرجهم قتل نفسهُ والكونتة لوكزوف كاتمة اسرار

الامبراطورة ماتت بغتةً فاعترى الامبراطور والامبراطورة
من ذلك الحزن والكآبة وحدثتهما انفساهما بالمزمع ان يكون
قبل حدوثهِ. وعوضاً عن ترتيل انغام السرور والبهجة
كانا يرتلان فذاً محزناً كان ارسلهُ لهما تريست

الفصل الثاني

الامبراطورة الجديدة

انهُ في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايار
سنة ١٨٦٤ وصلت الى مينا فيرا كريز الفرقاطة لانوفارا
حاملة جلالة الامبراطور وامراتهُ التي خفق قلبها حزناً
عند ما رات تلك البلاد المزمعة ان تملكها لان منظر
راس تلة اوريزابا المكلل بالثلج الدايم وتلك الاجام
الوبائية التي تنتذف عنها رياح حاملة تصعدات
تفسد المناخ لكثرة ما فيها من الاقذار الوذية المحيطة
باسوار قلعة كتلاتيبلت. وقد صبغت ابنية المكسيك

البيضاء بعلايم الحزن الذي انارتهُ نكبات تلك الاجام التي يتخلل كل دقيقة من مائها الموت الاحمر لما يتولد فيها من بقايا نباتات عفنة تصعدها اشعة الشمس الحارة· فمن لايتاثر فوادهُ بمباسم الكرب عندما يرى ذلك الشواطي قد اكتست عوضاً عن ثوبها الطبيعي باسراب عقبان سوداء قد ملأت فسح تلك الضواحي حتى كادت لكثرتها تحجب عين الشمس. ومن لايضطرب قلبهُ عند مرأى تلك الاراضي المحزنة دوفوميتو الفاعلة في تشويش اسلم الافكار· وبما ان الطريق من فيراكريز الى أوريزبا كان منظرها محزناً جدًا فلم توثر لنسخ تلك الافكار المحزنة اصوات العساكر التي كانت تزف باصوات الفيفا واصوات رنين الاجراس مع دوي المدافع المعلنة لواعج السرور لم تكن كافيةً لتقتلع من ذهن الامبراطورة ما انغرس فيهِ مما تاثرت منهُ. اما اهالي المدينة فكانوا في هدو وسكينة

تامين ولم يكن مرافقاً الامبراطورة غير امراة وابنة وكيل فرانسا . اما الامبراطور زوجها فكان ماشياً امام قواد جنودهِ متقدماً الموكب وكلما كانوا يتقدمون الى مكسيكو كانت تشتد اصوات الفيفا وكثر نغم الغناء ورجيج العزيف ورنين الاجراس وهلهلة النساء لان كل اهل المدينة خرجوا لملاقاتهم . واما الهنود المطرودين من امريكا المحرومي الارث من التمتع في حقوق المملكة فظنوا عند نظرهم الى جمال ملكتهم المفرط واللطافة التي تلوح على وجهها انهم ينظرون نوتردام دوكا دالوب ثانية . اما هيبة مكسيمليان والوداعة المرسومة على جبهتهِ فسرت قلوبهم عند اول نظرة وقعت منهم عليهِ فقالوا من فرحهم . لا يمكن لشعب ان لا يتهلل عند قدوم ملكهِ . ولكنْ عبثاً ما يفعلونَ اذ لا يمكنهم انْ يقدموا او يؤخروا في صوالح الامبراطور لأنهم لا يعلمونَ سوى معاطاة اشغالهم الشاقة . ولم

يطلقوا فقط مدة حياتهم مكحلة ما لم يضطرهم الامر الى ذلك
اضطرارًا الا مفر من نتائجهِ او تبادرهم بالتهديد فيلتزمون
الى ذلك كرهًا عنهم وعلى هذا المنوال كانت ايامهم
الاولى مشمولةً بازاهر المسرات ولم يخالطها ادنى كدر ·
ثم ان مكسيمليان اخذ بتدبير مهام المملكة واشغالها بكل
اعتناء · اما العساكر الفرنساوية فكانت تطيع قبايل
الولايات المبتعدة وكان الامبراطور في بداءة الامر قد
رتب مجلساً شوريًّا ونظم الايالات واصلح قوانين الاحكام
ونظم جيوشًا لم تكن قبلاً على هيئةٍ منتظمة بشرائع
وقوانين اذ لم يكن عندهم التفات الى هذا الامر· وقلما كانوا
يفتكرون بتعيين العساكر· وخفض الاموال الاميرية
وباشر بعمل سكةٍ حديدية من مكسيكو الى فيراكريز
وسلم ادارتها الى عصابة (قومبانية) انكليزية ودعى اليهِ
كل المهاجرين اوطانهم بسبب حرب البلاد المتحدة
ليسكنوا تحت رايتهِ ظانًّا انهم يفضلون السكنى في المكسيك

على بلادهم غير ان اعمالهُ هذه لم تكن الا على سبيل
التجربة اذ انهُ لم ينجح بتميم كل نظام على حقه لان العوايد
والاصطلاحات الاوروبية التي اراد ان يسلك بحسبها
كان اجراوها غير ممكن في بلاد نظير بلاد المكسيك
التي هي خالية من الاجراآت السياسية والمبادي الادبية
وقد الفت على السرقة والنهب والحروب الاهلية وعلى
كل حال كان لابد من ان تجري فيها ثلاثة امور كلية
الاهمية وهي ترتيب مداخيل الكنايس ومساواة الداخل
والخارج من مصاريف البلاد وملاشاة حزب الليبيرال
غير انهُ ظهر عدم امكانية ذلك بعد ان اعمل بها سنة
اشهر لاختلاف جرى بين الاكليروس ومكسيمليان
كان سببهُ اجراآت الاوامر الرسولية ومع ذلك لم يحرم
الاسقف مكردو مكاليا الامبراطور ولا جيوشهُ كما فعل
رئيس الاساقفة مكردو بستيدا اذ حرم الجيوش
الفرنساوية لكنهُ كان يساعد الاساقفة والاهالين على

العصيان والمقاومة اما مساواة المصرف والمداخيل التي
كانت تبلغ تسعين مليوناً فانها بلغت ضعف القيمة
وليس ذلك سوى قيمة المصاريف الاكثر اهمية فقط
ولذلك الزموا اخيراً ان يستقرضوا من الاجانب مبلغاً
لسد احتياجاتهم واخيراً عظمت المقاومة جداً فالتزم
جوارز ان يخرج جبراً من المحل الذي كان قد تملكهُ
غير انهُ لم يتخلَّ عنهُ فكان يفرّ من ضيعةٍ الى اخرى
بحيث لم يجد من يخونهُ او يوصل اليهِ اذيةً وهكذا الى
ان وصل في غرة كانون الثاني سنة ١٨٦٥ الى مدينة
شيهواهوال وهي مدينة في اقليم التكس من اعمال امريكا
الشمالية تابعة للمكسيك على بعد ٢٩ درجة ونصف
تقريباً من خط الاستواء وموقعها الى الجهة الشرقية من
شاطي نهر النورت الذي يصب في خليج مكسيكو وتسمى
ايضاً شيهواكام حيث قبلهُ اهلها بالترحاب فخاطبهم
بخطاب نظير ما خطبهُ في مكسيكو وهو

ايها المكسيكيون

انهُ بعد الحرب المبيدة التي اشهرناها مدة ثلاث سنين ضد الجيوش الاجنبية التي تسببت من خداع وطننا فها نحن الان مستعدون للمحاربة كاليوم الاول منها بدون جبانة ولا ملل لندافع عن استقلاليتنا وحريتنا ولئن كنا تعساء فها نحن الان لشدة الوصية المكسيكية التي حركها العدل والحق لم تسقط ولم تمت ولم تفتر عزيمتها ولن تفتر لانهُ لم يزل موجوداً اشخاص مكسيكيون تشتعل باحشائهم نار الحمية ومحبة الوطن وكما انهُ يوجد في بعض الامكنة الجمهورية اناس حاملون علايم الوطن في ايديهم فنحن كذلك واننا مستعدون بحماسة وغيرة لمدافعة القوة بالحق وليؤكد هذا ذلك الرجل المخدوع الذي قبل هذا التاج المحزن وسلب بهِ حرية شعب قط لم يستعبد

وليتيقن ويعرف ان المعاهدات والمحالفات التي جرت
في سوليدار على اثبات ملكهِ ليست سوى معاهدات
خداعية وهمية قد جرت بسيف الاجانب وان عرشهُ
المتزعزع لا يرتاح ولا يثبت على امان وراحة بل على
شوك قتاد وسفك دماء الوف من جثث المكسيكيين
الذين سفكت دماوهم وفنيت جثثهم بسببهِ وهم يدافعون
عن حريتهم بساحة الحرب وان الخاينين الذين قبلوا
بها هم انفسهم سيكونون المسئولين بتعويض كل عطل
وضرر وسيتحملون وخيم ظلمهم على رووسهم وليتيقنوا
بانهم مكسيكيون وان لهم اولاداً فلا يترك لهذا الارث
المدنس العرش المخضب بالرجانات وانّنا بعد محاربة
شعب اقوى منهم لهُ حق التملك في البلاد مدة احدى
عشرة سنة حرباً عنيفةً قد اختبرنا وعرفنا الواسطة التي
بها تستريح استقلاليتنا وحريتنا كاسلافنا وربما ان
هذا المختلس لا يشعر بفساد حالتهِ وعوضاً عن ان

يتخذ كلامنا ماخذًا حقانيًا يرفضهُ ويحتقرهُ ولا يلتفت اليهِ ولكنهُ سيعلمهُ لان حافظتنا التي لاتنثني ولا تسمح بهذا ستهيّجنا لننتقم لها ممن خرق حرمتها وسلب حريتها فتكون النتيجة عدم راحة لافكارهِ وممازجة صافي كاس عيشهِ باكدار لم يذقها لان ذنبهُ الذي بهِ افنى الوفا من الرجال لا يدع ضميرهُ الهايج يستكنّ ليلاً او نهارًا اينما كان مستقرًا فهو لهُ منخسٌ يلذعهُ كل وقت حتى الى ساعة توبتهِ ومن عقابهِ حيث ينتقم من كل ظالم ومخادع ومن احزابهِ الذين يستهزئون بنا ويسرون بخراب وطنهم فسوف يندمون حيث لا يجديهم الندم نفعًا لصرامة المحاكمة الوطنية العديمة الشفقة · فاطمئنوا ولا ترتابوا ايها المكسيكيون لانهُ ستاتي تلك الساعة التي بها ترد حريتكم كما اتت تلك التي بها سلبت من اجدادكم سنة ١٨٢١ فتعللوا واطمئنوا ومدوا يد المساعدة والقصد الثابت واقرنوا عزمكم مع عزم هيدلكو وزاركوزا

ونشاطكم وحميتكم مع نشاط وحمية موريلوس وثباتكم
وشجاعتكم مع ثبات وشجاعة كراريرو وساعدوا على
ضرا تلك النار نار الحمية التي بها ستحترق الظالم والباغي
المتعدي والخاين ونتطهر ارضنا من الادناس ولئن
يكن قد سمح لنا بان نعيش تحت ذل المختلسين والبغاة
فعليكم ان لاتسلموا باحتمال هذا النير الذي هو نير
العار والهوان ولا تخدعوا انفسكم بمخاتلة المحاتلين ومحبي
الجور والتسلط فان الحكم المطلق الاختياري هو مناقض
لشروط عدالة الاحكام وحقانيها ولا شي يعرب عن
رداءته . ولذلك من الواجبات الضرورية لحفظ شرف
المكسيك وناموسها واستقلالها ان نهدم هذا السلطان
المطلق الذي يجب ان تدك حصونه وجوباً حقياً علينا
فلنبادر اذاً لمساعدة بعضنا بعضاً هذا اذا كنا لانحمل
نير الذل والهوان واسر ظالم الاجانب وانتم ايها المكسيكيون
الذين حاربتم وقت وقوع ذلك الخطر الجسيم فهيا اثبتو

على عزمكم بشهامة تامة ونشاط لايتزعزع ولا تتاخروا ولا تتزعزعوا لوقوع الاخطار ولا تفتر عزيمتكم لتخلي البعض من اخوتكم فان هولاء ربما يرجعون الينا ويحامون عن وطنهم ليمحوا بذلك عظم الذنب الذي ارتكبوه وان لم يرجعوا بل اصروا على حالتهم الحاضرة فاشفقوا عليهم لانهم مع كلما هم عليه من البهجة والسرور فهم لامحالة تعساء الحظ وان الفكر الوحيد الذي يقلقهم ويسلب فرحهم هوانهم مكسيكيون موجودون تحت رق عبودية الاجانب وهذا مما يحرق قلوبهم ويجعلهم في حالةٍ يرثى لها فاذًا لايبرح من ذهنكم ان المحاماة عن الوطن وحريتهِ هي امر واجب علينا جميعنا لان بهِ ندافع عن شرف نفوسنا وعرضنا وحرية اطفالنا وبالنتيجة عن شرف وعرض وحيوة كل فردٍ منا ولذلك قد اتخذنا لنا مساعدين من حزب الجمهورية وحزبًا اخر داخلاً وخارجًا بهم تتم مساعدتنا بكتاباتهم

المدققة وسلطنتهم ومداخلتهم وحذاقتهم وغيرتهم على
خلاص وسلامة وطننا فاتزداد وتتضاعف قوتنا ولا
نشتبه بان وقت خلاصنا واجتماع اعضائنا المتفرقة قد
اقترب وسوف نظفر بعد صبرنا واحتمالنا وتمتع بنجاح
سيكلل مقاصدنا فاركنوا اذًا لصدق وثبات من يكلمكم
الان وسيكرس ذاتهُ بتمامها كما كرسها في الماضي للمدافعة
عن حرية وطنهِ وجنسهِ ويبذل غاية الجهد بقدر
استطاعتهِ مع مساعدتكم ومعاضدتكم ايها الاخوة
الوطنيون وسيحامي عن السلامة والامنية والراحة
العمومية وعن علم الاستقلالية الذي اكتسبهُ
المكسيكيون بشهامتهم وباهراق دمهم ودم اولادهم

فهذا هو القول المبرور الذي قالهُ جوارز واهتم
بعملهِ وما اعجب طبع هذا الهندي الذي استمرت
مقاوماتهُ مدة خمس سنين ولم ينتصر مرةً واحدةً وهو لم
يالُ جهدًا عن اتمام مقاصدهِ ولهذا قد شخصوهُ بصور

وهيئات شتى فالبعض كانوا يصورونهُ بقطاعي الطرق والقوم اللئام واخرون نظير بطلٍ صنديدٍ. وكان قبل تلدهِ حكم ولاية اوكزاكا خادماً عند احد المشترعين في وطنهِ الهندي وهو الذي علمهُ وثقفهُ بفن الشريعة فارتقى الى درجة القضوية في كرسي المملكة ثم سمي معاوناً لرئيس الجمهورية. وبعد هزيمة كومون فورت سنة ١٨٥٨ تسلم رياسة الجمهورية رغماً عن ارادة حسادهِ ومقاوميهِ وقد قال عنهُ الاب دومانك الذي كان رئيس المجلس في ايام مكسيمليان. انهُ رجل حكيم ذو رفاعات انما لا المام لهُ بالسياسة وتدبير امورها وان اقدامهُ يقارب خبرتهُ بالامور السياسية مع انهُ من رجال الدولة العظام. ولما حدثت المقاومة ضدهُ وبحقهِ في ايام الجمهورية قال احد الرجال لهُ اركب ايها الرئيس جوادك وبادر لساحة الميدان ووطد بوجودك ثبات وشجاعة عساكرك فاجابهُ جوارز ببرادةٍ وهو متكئٌ على

كرسيهِ الذي كان جالساً عليهِ والسيكارة بيدهِ لا اعرف ركوب الخيل فقال لهُ ايضاً اركب اذاً حماراً فاجابهُ بعد امعان النظر برهةً يسيرة لايحتاج الامر لذلك لكنهُ لم يدرك خباثة دقة هذه العبارة فسارت نكتةً عندهم . ثم ان اسكندردو استماير قد وصفهُ وصفاً اخر في احد صفحات التاريخ حيث يقول انني في ١٤ ايار سنة ١٨٦٣ بعد موقعة كامرون بايام بينما كنت ذاهباً من سوليدار الى فيراكروز لاسافر منها الى فرنسا مع البارجة فلوريد شططت عن الطريق وذهبت الى الجهة الغربية من مدينة تيجاردا حيث التقيت بخمسة فرسان مكسيكيين قد احدقوا بي النظر ليروا ان كنت ارتعدت من مصادفتهم وسالني احدهم وهو رئيس العصابة الى اين ذاهب فاجبتهُ الى فيراكروز فقال لي لاتذهب اليوم وعند ذلك احاطت بي اتباعهُ واخذوني اسيراً وبعد ساعاتٍ وصلنا الى مدلين وانا لم ازل محاطاً بهم وهي

مدينة خربة سيئة البنا واجتازوا بي سوق الباعة الى
قرب كنيسةٍ هناك وادخلوني الى بيتٍ حقير منخفض
الابنية ووضعوني في طابقهِ الاسفل الذي هو اشبه
باصطبل البهايم واذا برجل نحاسي اللون قد توكا على احد
كواتهِ وفاجاني احد الرجال متهدداً بصوت خشن
ولطمني اخر بمقبض بندقيتهِ لطمةً اطارت مني صوابي
وخلخلت عظامي وحينئذٍ نظرت الشخص الذي رايتهُ
في الكرة قد اقبل فرفعت العساكر برانيطها باحترام زايد
ولم يبقَ احدٌ سواي لابساً قبعي واذا باحد المكسيكيين
نزعهُ عن راسي نزعةً بربرية وقال لي بصوت منخفض
هذا هو جوارز ففكرت حينئذٍ انني بحضرة رئيس الجمهورية
وهو رجل قصير القامة شنيع الصورة كبير الراس ضخم
الشفتين مستدير العينين غيران منهما يتطاير الشرر
لالحية لهُ وكان لابساً سترةً سوداء وصدريةً نظيرها
وبنطلوناً كتاناً ابيض وجزمة من جلد اسود في كعبيها

مناخس فضة وعلى راسهِ قبع من اللباد السنجابي ملتف على دائرهِ حيةٌ من الذهب مرصعة بماس وحجارة كريمة شاكلاً باحدى ازرار صدريتهِ شريطة تشير الى الوطنية وكان لطيف الكلام مختصرهُ ذا هيبة ووقار لايعرف لغتنا جيدًا فسالني قائلاً من اين اتيت ومن اي تبعةٍ انت فاجبتهُ اتيت من سوليدار وانا من التبعة الاجنبية فاجابني انها لتبعةٌ عظيمة فاهنئك بها وصادق على كلامهِ هذا كمرون قائلاً انا تحاربنا مدة اربع عشرة ساعة وكنا الفين وسبعماية شخص ضد ثلاثة وستين شخصاً وخسرتُ في تلك الموقعة ثلاثماية من اتباعي فافرح اذًا بعظمة فرنسا فما اشد ابطالها واما انت فلست فرنساويًا فاجبتهُ نعم انني ولدت في فرنسا ولكن والديَّ من بولونيا فقال لي وانت هنا حتى الآن ولا تذهب الى مساعدة وطنك المحارب فاجبتهُ نعم ايها الرئيس انني كنت ذاهبًا اليهم الآن هولاء العساكر

اوقفوني عن المسير فراجعني قائلاً اصحيح هذا فاجبتهُ انني
اقسم لك بذلك فقال لي انت حرٌ فاحنيت لهُ براسي
فاجابني بالامان ياخواجه فلينصر الله بلادكم ويوئيد
جمهوريتنا . وبعد ما كاد يذهب رجع ثانيةً وقال لي
من دو قايد جيوش العصاة فاجبتهُ لا احد سوى رئيس
الاحزاب فعند هذا الجواب ظهرت على وجههِ علايم
لا انساها مطلقاً وقال لي لا احد بينكم مسئول نظيري
مثقل بالذنوب ومطالب بالدم المهرق وكان بمعية
جوارز في هذا الوقت فرقة من الجنرالات وهم ريكواس
وكورتاو برمرو وودياز وهم من اصحاب العقل والدراية

هذا ولم يذهب من ذهن الامبراطور مكسيمليان
وامراتهِ الامبراطورة كارلوطا من التخيلات المزعجة
كما يتضح ذلك من الكتابة التي حررتها في شهر كانون
الثاني سنة ١٨٦٥ معربة بها عن الاخطار المحيطة
بمملكتهم الجديدة وهي

ان الشهامة والثبات لم تفتر من قلوبنا الا انني اسال ذاتي هل يمكننا ان نتخلص اذا دامت المصاعب والمشقات على الحال التي هي عليهِ لان حالتنا الحاضرة هي كما ياتي. ان الاعلان الصادر في ٢٧ كانون الاول قد جرح الاكليروس جرحًا لا دواء لهُ وقد اتفقت الاراء الافترائية الظالمة على ابطال مقاصد الامبراطور تجاه مقاصدهم وهي لاتخلو من الرفض فقط بل من التعصب الشديد المطلق ولذلك اظن انهُ لايمكن لاعضاء الاكليروس في هذه الايام ان ياتوا بمثلها وسيجري بهم ما جرى بهولاء في ايام نابوليون الاول حينما اصدر امرًا من البابا بتنزيل الاساقفة المهاجرين الساكنين في البلاد الاجنبية ولتفاوتهم قد نزلوا عن مناصبهم وقد يكون عندنا اكليروسنا غيرانهم يخالفونهم بعدم تنزلهم عن مداخيلهم لان ماتعينهُ لهم الحكومة لايبلغ معظم محاصيلهم الوافرة التي تمكنهم من حسن المعيشة في اوروبا هذا مع اجتهادنا

نحن الان على اصلاح حالة الكنيسة ثم ان الاملاك التي
جرى بيعها سيصير اعادة فحصها وهذا يكون سببًا ثانيًا
لوقوع الفتنة لانهُ عند مصادقتنا على القوانين الجديدة
تعهدنا لاصحاب الاملاك بالمحاماة عن حقوقهم ولذلك
سنكون المسئولين لدى اصحاب الحقوق ان نؤدي ما
تعهدنا بهِ وبما انهُ من الواجب معاملة الجميع بالمساواة
لابد من ان اولئك الذين خرقوا القوانين والشرائع
ان يردوا كلما كسبوهُ الا انني اخشى من ان هذا العمل
يكون سببًا لقلاقل ومتاعب جديدة مكربة كما تولد
نظيرهُ عند ما ضبطت املاك الاكليروس

ومع ما نحن عليهِ فمدينة اوكساكا لم تزل تحت
الحصار الامر الذي يسبب قلق العموم وان لم يصادفنا
حظ ونجح هنالك فلا نامن حينئذٍ من الخسارة في
اماكن مختلفة وها نحن منذ شهر محاطون بالاهوال
الكلية التي اذا امكنا احتمالها بباس وثبات لا اشك بان

امبراطورية المكسيك ستصادف حظًّا واذا جرى
الامر بخلاف فلاادري ما سيلمّ بنا فانهُ في مدة الستة
اشهر الاولى راى الجميع ان حكومتنا بغاية الترتيب
والنظام غير انهُ ماتعرضنا لعمل شيء ما او وضعنا يدًا
لمباشرتهِ الا وامسينا هدفًا لسخطهم وتذمرهم وليس ذلك
سوى من سلطان الجهل الذي لا يسمح للملكِ ان يستقط
ولا تتوهموا بان هذا السلطان هو جسم محسوس بل
ان لا وجود لهُ ومع ذلك اننا نعثر بهِ عند كل خطوة
نضعها في هذه البلاد وهذا برهان على انهُ راسخ ولا يمحى
من عقول سكان المكسيك وانهُ متمكن امكن لا تدخل
عليهِ العوارض وان كبح جواد الجهل المكسيكي وقمعهُ
من عقول المكسيكيين هو اكثر صعوبةً من بناء الاهرام
المصرية ومع كل ما هو عليهِ هذا الامر من الاهمية ليس
هو بمقام ما يضطرنا الحال اليهِ وهو تناقص الجيش المملوكي
الذي بتناقصهِ تنقص ايضًا قوة الدولة المادية وهكذا

اخشى من ان تفقد الغنيمة ونسعى هايمين بطلب خيالها ولا اشك بان المجلس القضوي في باريز سيتكلم بهذا الشان كلامًا لا فائدة فيهِ ان لم يقارن القول العمل الذي يكون بهِ لفرنسا اي شهرةٍ ويتسطر لنابوليون الثالث ذكرٌ خالدٌ في صدور الاجيال المستقبلة وما احلى ما قيل في مجلس انكلترا العالي . ان المكسيك هي بلاد منتظمة لا يلزمها ادنى مساعدة . اما انا فاريد ان انظر في حقائق الامور فاقول انهُ يجب لتهذيب هذه البلاد ونظامها في حيز التمدن ان يكون ملكها مطلقا مطاعًا ليوهمهم دايمًا بقوة جنودهِ وهي حقيقة لا ريب فيها لان كل قوة لا يمكن ايجادها بعد ذلك نظير السطوة والشهرة والفخرة التي يمكن الحصول عليها بالانفاق وهي مسئلة ثانوية تصعد تارة وتهبط اخرى وعلى ساير الوجوهِ يلزمنا جيوش مرتبة قوية لان النمساويين والبلجيكيين لا يصلحون سوى في وقت

السلم ولكن عند اتقاد النار وهبوب الارياح فيها لا يناسب سوى البنطلون الاحمر اي الزواف الفرنساويين) واظن انهُ يصعب علينا اجتياز زمان الصعوبات الاولية ان لم يكن عندنا جيش اكثر مما لنا الان لان كل شيء قد ضعف وتلاشى فبالضرورة يجب عوضاً من ان تخلي الجنود الفرنساوية البلاد يزداد عددها اضعافاً.

انتهى

وكان كل ما قيل صواباً لان المقاومة قد ابتدات حتى صار تتميمها فرضاً واجباً وحينئذٍ تمثلت الامبراطورة لحسن فطنتها وجودة عقلها باعمال لويس دي اورليان واخذت بزيارة المرضى وتوزيع الحسنات وبنت محلات خيرية واحيت اوامر سنت شارل لتهيج بها حاسيات من ضعفت امالهم واخذت بنفسها تتعاطى امور الاحكام وتفحص كل امر صعب وتناضل بهِ وتتكلم عنهُ واوجدت اهمية كلية في مباشرة الاعمال

الدولية ذات مقاصد جلية واخيرًا استعملت ماتندبها اليهِ سجيتها النسائية كالمراضاة. والتمليق اما مكسيمليان فكان قد راى موقع الخطر فاظهر الجلد والثبات امام الشعب اما فوادهُ فكان ينفطر اضطرابًا وهذا ما حررهُ سنة ١٨٦٥ حينما كان في شابولتيك مظهرًا بهِ حالة البلاد. ان قوتنا العسكرية سيئة جدًّا وقد هدمت قلعتي كوانجواتو وكوادلجارا واحاط العدو بمدينة موريليا وتملك في اكابولكو التي منها تاتيهم الذخر والنجدات لان طريقها مفتوحة ومدينة اوكساكا قد تخللت وقريبًا توخذ ومدينة سن لويس بوتوزي تحت الخطر الجسيم وقد انقطعت المخابرات من الجهة الشمالية ولذلك حالتنا الحربية امست عدمًا اكثر مما كانت عليهِ في الخريف الماضي وقد قلَّت الامنية وفرغت الخزينة وضاعت الفرصة المناسبة

ومع وجود هذه الحالة المكربة كان مكسيمليان

يتغضرف تصرفاً كمن ملكهُ موسس على اساس وطيد لا يتزعزع فاسس شريعة المملكة واصلح الترتيبات العسكرية واوجد محلاً للامنية وشيد بنايات عمومية واقام منزلاً للمصابين وكان خدامهُ بذلك يسخرون عليهِ قائلين . ان الامبراطور يصرف هنا اموالاً كثيرة كانهُ مزمع ان يملك زماناً طويلاً . اما هو فكان عملهُ هذا تصنعاً وكان اذ ذاك مقيماً في قلعة شابولتيك مشتغلاً بتزيين جنائنهِ وترتيب محلاتهِ حتى امسى مسكنهُ جنة وليس ذلك الا ليخفي عن اعين الناس الخطر العميم الذي احاق البلاد ولكن بئس التظاهر لان امالهُ لم تفدهُ شيئاً وعرف انهُ لعدم ارادتهِ ان يسلم ملايين من الاملاك والعقارات الارثية التي تخص طغمة الاكليروس قد صار لا معين لهُ وان الاحزاب التي ساعدت تنصيبهُ قد تخلت عنهُ ولم يبقَ لهُ مساعد سوى الجنود الاهلية لان العساكر الفرنساوية لم تعد تشغل

ارضاً من المكسيك اكثر مما يشغل مركب من مراكبهم
في الاوقيانوس الذي بعد تحويلهِ من ذاك المكان ترجع
الماء لمجراها فما النتيجة اذاً من عصابةٍ لا مقدام لها ولا
رئيس وهي العصابة الفرنساوية المسوّاة بكل ذلك
حتى ولا من الفرقة البلجيكية التي تحسب ذاتها حرساً
للملك حال كون الشعب الذي لا يفتر عن الصراخ في
الازقة والشوارع في عيد الحرية قائلاً فليمت مكسيمليان
ولتمت كارلوطا وليمت الفرنساويون· ما لم تقدر الحكومة
المكسيكية ان تعاقبهُ على هذا الذنب الفظيع او ماذا
ينتظرون من بلاد قد ابيح بها ارتكاب الجرائم من قتل
وسرقة وولاتها لصوص وسفكت دماً واشراف مناصبها
يستحلون ما لا يجوز فعلهُ فان الاب دومانك قال ذات
يوم انني كنت في شابولتبك فسالت روساء تشريفات
الملك من من النصبة سياكل مع مولاكم اليوم فاجابوني
احد اعضاء مجلس شوري الاحكام وهو من اكبر لصوص

مكسيكو الذي سرق السنة الماضية من خزينة المملكة ثلاثين الف غرش واخبروه عن رجل اخروهو من احد قواد جيوش مكسيمليان الذي كان رئيس فرقة ميرامون انهُ قبل ارتقائهِ هذه الدرجة السامية قد مضى عليهِ ثلاث وثلاثون سنة في اللومان لكونهِ من اكبر نشالي المكسيك وقد صرف حياتهُ بهذه الرذيلة واخبروهُ انهُ بينما كان رئيس سنتا انّا في احد الايام في مجلسهِ الوزيري سرقت من امامهِ محبرة فضة فقفل الابواب والكوات حالاً وقال لا اريد ان اعرف من سرق محبرتي ولكن ان لم ترجع في برهة خمس دقائق لا بد من سجنكم جميعاً فرجعت المحبرة في الحال الى محلها ولم يعرف السارق (فشكراً للابواب والكوات) فاذا كان الحال كذلك فما هو تملك الامبراطور على نظير هولاء

وكانت حالة البلاد تزداد تاخراً يوماً فيوماً واذ كانت قد انتهت الحرب الاهلية في البلاد المتحدة

اخذت احزاب الحرية تمد وتذخر وتقوي عصابتها
وكانت العساكر الفرنساوية قد تفرق لفيفها الى فرق
متشتتة تكاد تتقهقر عن محاماة حدودها والجيوش
الملوكية المكسيكية لقلة النقود انحل من عقد نظامها
وترتيبها كثيرًا وازداد تعدي العصاة حتى انهم كانوا
يسفكون الدماء تجاه ابواب مكسيكو مسمين باسم الله
او باسم الحرية ولما تاكد مكسيمليان وقوع الخطر افرغ
كل ذلك التاني الذي كان يصحبهُ في جميع اعمالهِ فسلم
امرهُ لوسوسة الموسوسين وامضى تلك الاحكام
والقوانين التي تحررت في اليوم الثالث من تشرين
الاول سنة ١٨٦٥ التي تمنع الهدنة للذين يسلمون
سلاحهم وتحكم بالموت في مدة اربع وعشرين ساعة
على من نفر وعصي وبذلك اوقع نفسهُ تحت المسئولية
وهدف سهام المؤرخين لما اناب لا ارزولا كانزا من
ذلك وهذه هي صورة القوانين التي امضاها مكسيمليان

اولاً ان كل شخص تسلح سواء لقصد سياسي او غيرهِ تجرى محاكمتهُ في المحكمة الحربية ويحكم عليهِ اذا وجد مذنبا بالشنق ويجري ذلك في مدة اربع وعشرين ساعة

ثانيًا كل شخص اختص بفرقة ظهر منهُ مضاربة غيرهِ تجري محاكمتهُ عند رئيس الفرقة التي اقتحمها وهو يقررهُ ويأخذ استنطاقهُ وللمذنب حق ان يدافع عن نفسهِ واذا تاكد ذنبهُ تمضى مضبطتهُ ويجرى بموجبها في المدة المعينة

ثالثًا لايستثنى من هذا الحكم اي الموت الا من يتاكد انهُ علق بهذه الفرقة غصبا عنهُ او انهُ وجد بينهم صدفة او عرضا

رابعًا اذا راى رئيس الفرقة ان الاسير قد اثبت عذرهُ تطبيقًا للبند الثالث المذكور فلا يمضي مضبطتهُ بل يقدم بها تقريرًا الى المجلس الحربي الذي منهُ هذر

خامساً كل من يمد عسكريا بمال او خلافهُ طوعًا منهُ او من يعطي رايًا او يبدي مخابرةً او شورًا وكل من يبيع سلاحًا او خيلاً او ذخرةً اوقوة حربية وما اشبه ذلك لسبب ما يحكم عليهم بالموت طبقًا لاحكام البند الاول ولا يقبل لهُ شفيع مطلقًا . انتهى

فاقشعرت لقراءة هذه القوانين اوربا كلها لان مكسيمليان عمل بامضائها على خرابهِ وعرض نفسهُ للهلاك لانها لا تحاشي ملكًا ولا عرشًا وكانت كفوهة اتون مضطرم تبتلع كل مازُجّ فيها وانس بها مركز لابوشه وانسر قلبهُ لشدة عداوتهِ لمكسيمليان وانقطع أمل الصلح بينهما وتاكد لمركيز سلامة قلب الامبراطور وفي ثاني يوم امضيت القوانين وكثر القيل والقال حتى ان بسطاء المكسيك استخفوا بهذا العمل وهزأوا بالامبراطور ولاحتقارهم اياهُ صوروهُ بصورة رجل من

سكان فريجيا معلقاً على صدر جوارز فقصد رئيس
المطابع ان يقاص الذي فعل ذلك فمنعهُ مكسيمليان
وكان من جملة الذين حكم عليهم القانون المسجل في ٣
تشرين الثاني من الحكومة الامبراطورية بامر القومندان
ماندر اثنان سبب قتلهما قلقاً عظيماً في جميع
سكان المكسيك وهما الجنرال ارتيكا والجنرال سلازار
لان موت هذين الشهمين اللذين هما مرآة للفضيلة
وموضوع لاعتبار العموم اضر بمكسيمليان ضرراً جسيماً
اكثر مما لو هلك جيشهُ في معمعة حرب شديدة فانهُ
لم يحزن محبو الجمهورية اكثر مما حزنوا عند استماع وداع
هذين الشخصين وقد ذرف المكسيكيون جميعهم عند
تلاوة وصية سلازار المحزنة ومكتوب ارتيكا دمعاً سخياً
يقرح الخدود لما بهما من التاثيرات المؤلمة

وهذه صورة التحرير الذي يجرح القلوب بمعناهُ

ايتها الوالدة المحبوبة انهُ في الساعة السابعة بعد الظهر

حكم بالموت على الجنرال ارتيكا والكولونيل فيلاكومز
وثلاثة روساء غيرهما وولدك الحزين لفراقك نعم انني
ساموت وانزل القبر ولم ابلغ سن الثلاث والثلاثين
لكنَّ ضميري نقي من كل ما يثلم بهِ ولم ارتكب ذنباً في
خدمتي العسكرية ولا شيئاً يمس اسمي وعرضي فلا تبكي
ولا تذرفي دمعك عليَّ بل تشجعي وتصبري لان الذنب
الوحيد الذي ارتكبتهُ هو محاماتي بنيةٍ سليمة وقلب
نقي عن حقوق بلادي وحريتها فلا تعطي نفسك
هواءها رتجلدي عند استماعك بوقوعي هدفاً للرصاص
ومع انني لم اترك لك شيئاً يقوم باودك فلي امل وطيد
بان المولى يساعدك ويعول اولادي الذي سيحيون اسمي
فارشديهم الى طريق الحق وعلميهم خوف الله واستودعك
الله ايتها الام الحزينة المحبوبة ومديني ببركاتك التي
ستطويني في قبري وارجوك ان تقبلي عني خالي العزيز لويس
وتقلا وايزابلا وكرما ليثا وكولينا ومنيا التي وقبلي ولديَّ

بقلب حزين منكسر وحنوا بوي وانني قد عينت الى
الاول منها ساعتي الفضة وعينت لحبيبي مناويل اربع
قطع من امتعتي وقدمي واجبات احترامي وتهداتي الى
اعمامي ونسائهم وبنات عمي ولكل اصدقائي ولك من
ولدك الف تحية وقبلة وسلام الامضاء

كارلوس
سلازار

وبما ان ارتيكا حكم عليه نظير صديقه فحرر الى
والدته تحريرًا هذه صورته

من اوركابان في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٨٦٥

ايتها الوالدة المحبوبة لقد اسرتني في ١٢ الجاري
الجيوش الامبراطورية وغدًا سالاقي بصدري فواعل
الرصاص فارجوك ايتها الحزينة ان تسامحيني عن كل ما
الحقته بك من الاضرار مدة حياتي التي هي خدمتي في
العسكرية ضدًا لارادتكِ اما الان فانني قد ارسلت

لمساعدتك كل ما املكهُ والله لك خير مساعد ولا
يسمح بعذابك وعذاب شقيقتي العزيزة تريشيدار واني
الى الان لم اخبرك عن وفاة شقيقي لويس خشيةً من
ان اميتك حزنًا فانهُ قد توفي في غرة كانون الثاني في
نوسبان من اعمال باليسكو وها انني اموت موت الابرار
ولم اترك لي اسمًا رديًا اذ انني لم اشتهِ ما للقريب والمولى
عزَّ وجل يسامحني فاستعيض بمجدهِ اودعتك ايتها
الحنونة الى الابد بلغي وداعي الى دو لوريس ولكل
عائلتي ولك من ولدك الحبيب الف قبلة الامضاء

جوزي ماريا
ارتيكا

وهذان التحريران قد اشهرا في كل الجهات وعلا
الظلام الكثيف في افق تلك البلاد البعيدة حتى ان
الاوقيانوس اوشك يكتنفها لقتل هذين الشخصين
الذي احدث تغييرًا كليًّا في النفوس فتحركت البلاد

المتحدة وجردت قوة واشنتون ضدًا لفرنسا وفي الحال تعين وقت خروج العساكر الفرنساوية من البلاد وكان هذا بدء المصائب لان حزب الحرية كسب اراضي متسعة واستخلص حزب الليبرال ملكهم الذي خسروهُ وقتلت الاشقياء في المذبحة الاهلية وتوقفت سفارة بلجكا على ابواب المكسيك ووقع الخلاف والمؤامرة حتى في باب الحكومة ووسط السرايا وتعصبت لذلك اولياء المالك واختبط العالم الجديد باسرهِ فارتاع مكسيمليان من ذلك وظن ان حياتهُ العزيزة لا تترك فاعلم اخاهُ والبابا وفرنسا ولم يعد لهُ سوى امل واحد وهو ان يسلم غناهُ لامراتهِ ويفوضها بالمخابرة في امر خلاصهِ وخلاص المملكة لحذقها وحكمتها التي خفضت كثيرًا من الاهوال فتشجعت الامبراطورة بعد ما كادت تقطع املها وسافرت الى اوروبا في الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٨٦٦ ولكن خاب تعللها واملها الان مكسيكو ومكسيمليان

قد فنيا ودار بهما الهلاك وقد ظن ان الملكة لا تعود تنظر تلك الاراضي التي طالما فكرت بها سنين عديدة واملت ان تجمع كنزًا تعيش بهِ ارغد عيشة ومع انها حكمت مدة سنين لكن قد لاقت بهما عذابًا اشد من وخز الاسنة وبعد ان وصلت الى باريز شكت امرها الى اولياء الحكم ورجال السياسة ولما لم تنجح سارت الى رومية حيث سيادة المعلم الابدي وطلبت عفوًا ونجاةً وهناك جنّت وخسرت عقلها وبذلك تاست عن عظم مصيبتها . ومن غريب ما يحدّث عن هذه المصيبة وسببها هوائهُ في شهر تموز سنة ١٨٦٦ كان قد استولى على الامبراطورة سهادٌ لا يوصف اطار لذيذ رقادها تولد عنهُ التهاب حاد في دماغها وقوي عليها هذا المرض لامتلاء جسمها وحسن تركيبهِ فلعب المرض فيهِ كانهُ سمٌّ ناقعٌ ولما انتشر هذا الخبر في اوربا كثرت بسببهِ الاقاويل وانما كانت مبنية على موضوع واحد

واتممت اليهِ الاسباب الاتية وهي ما اصابها من الرعب وقلة الاكل وانفراد العيشة وانصباب كل فكرها بانها مسمومة لانها كانت تظن ان كل شخص يريد ان يجرعها سمًّا ولذلك امتنعت عن الاشخاص المتولجين بخدمتها ومواظبتها وعن كل من يقترب منها فقال المكسيكيون ان هذا هو سم الفودو . وهو سم يقال عنهُ في نوفال اورليان . ان الفودو الاصلي الافريقي يوجد منهُ كثير عندنا تستعملهُ اقوام مريعة غير انهُ لايعلم بما يقصد بهِ لعدم امكانية الايضاح عنهُ في البلاد المتحدة وهاك ما امكنني ايضاحهُ عنهُ بشهادة مائة الف شاهدوا ان مستعملي الفودو يحركهم صالح خصوصي او سياسي او الطمع او الانتقام وهم غالبًا عديمو المعرفة وخفي امرهم ان لهم المامًا ببعض الحشائش غير المعروفة يستخرجون منها مقاطير مسمة ذات خواص متنوعة بعضها يفعل تدريجًا وبعضها يقتل في الحضرة ومنها ما يوثر في

الدماغ وتأثيرهُ اما خفيف فيكون ضررهُ تدريجاً واما قوي فيخرب تركيب الدماغ بسرعة ولهم ايضاً معرفة بما يضاد فعل هذه السموم من الحشائش ويشترك مع هولاء كثيرٌ من المولودين او المتوطنين في هذه البلاد وبعض هولاء من ذوي الاعتبار والتقدم في هذه الجمعية والظاهر ان سر هذا السم عظيم وما ينسبونهُ الى فعلهِ الخرافي المسمى توكسيك دي فورور (اي سم الفودو) هو ناجم عن افكار ضعفاء العقول الذي اذا سمعوا باسمهِ يسقطون خوفاً ويمتنعون عن تناول الطعام ويبتعدون عن اقاربهم واصدقائهم وجيرانهم حتى انهم اخيراً يتوهمون ان كل احدٍ لهُ المام بهِ وهذا هو السبب الاكبر في جنون الامبراطورة حتى انها كانت تتوهم انها ناظرة اصحاب هذا السم في ميراماروفي برسيل وفي نيربارن في كل مكان وزمان

الفصل الثالث

دنو اخر السلطنة

ان بداية التطهير والتوبة كانت صعبة جدًّا لان ارتيكا وسلازار نالا جراءهما بنوع نبه افكار الامبراطورة حيث قد طفحت الكاس وكثرت الحوادث المقلقة والجيوش الفرنساوية نزحت من تلك الضواحي واعلن الجنرال كاستلنو نهاية ما قصدته فرنسا في الاقاليم البعيدة بعد ان شيدت اركان راياتها فيها وصرفت خمساية مليون لتثبيت السلطنة الجديدة واصبحت لا تكلف ذاتها مصرفًا نظير المصاريف الماضية وقد تعرضت الولايات المتحدة لتشغل مركزًا في محط ذلك المرسح لانها اقرّت برياسة جوارز القانونية فوجهت الجنرال كميل والجنرال شرمن لمقابلة جوارز وليقدما لهُ كل مساعدة ادبية ووعداهُ ايضًا ان يساعداهُ على

ا لتخوم ماديا فاشتد ساعده وشمر عن ذراعهُ واشهر سلاح المحاماة وجدد القاء التغيير في البلاد وحينئذٍ تاكد مكسيمليان وقوع العطب وحرر لوزيرهِ لارس تحريرًا وهذه صورتهُ

من مكسيمليان في ٩ شباط سنة ١٨٦٧

ايها الوزير العزيز الظن ثيودوزيوس لارس

ان حالة المكسيك الحاضرة تغمني كثيرًا لان الوسائل التي استخدمناها لمنع الحرب الاهلية قد ساعدت على اشتعالها في كل جهة اجتهدنا لنجري اوامرنا فيها لتوطيد اركان سلطنتنا تجري انهر دم بسببنا وقد كان املنا انهُ بعد خروج الفرنساويين ومنع مداخلتهم تقع هيبة سلطنتنا على الاهالي ويمكننا حجب سفك الدم والقاء السلام بين الاهلين ولكن لسوء الحظ ظهر الامر بخلاف ما املنا فلا نجاح لنا في صن ياستو وفي مونت لارس كريس وعوضًا عن الاصلاح نقع في شرين لم يجرَ

اقبح منها في المملكة وقد وعدنا بالنجاح والحصول على
نتيجة عظيمة في اعمالنا لاستقامة ودراية الجنرال ميجيا
والجنرال مركزغيران الاول ترك الخدمة لسبب انحراف
صحتهِ والثاني لسبب تبذير الاموال الموجودة بين يديهِ
سدى في الموقعة الاولى بدون حرب والاخير بعد ما
ارتكب الفظائع وسلب الاموال بطريقة معوجة من
اصحاب الاعمال واولي السلام قد باشر الان بافعال
قبيحة لاتدرك سوء عاقبتها الدموية فنفذت اموالنا من
الخزينة واصبحنا محتاجين للاقتراض وهذا لانستطيع
اجراؤهُ لانهما كنا بامور المملكة وتوطيد السياسة حتى
ولو استعملنا لاجرائهِ وسائط ظلم واخرجنا اوامر برفع
الرسومات الاميرية لما جنينا سوى المتاعب ووخيم
الظلم بدون نفع واذا نظرنا من جهة اخرى نرى ان
القوات الجمهورية التي تعد انها عديمة النظام والاداب
قد التامت طمعًا بالنهب الامر الذي يجعل الشعب

ان يقتدي بها ويأتي باعمال مجانسة لاعمالها اما اقتناعها
على ان تعين عسكرًا مجانسًا لعسكرنا بحركة شخص
واحد فلا ريب ان هذا يضر بسلطنتنا لان الشعب
الذي يظن ان اعانة تجه للمحاماة عن حريته التي
يتهمون مملكتنا ظلمًا بها بانها سلبتها منهم لا يجدينا نفعا
ولا فائدة لنا بكثرة الاصوات والانتخابات المؤلفة
من رضى بعض سكان المدن الموجودة عساكرنا فيها
لان الوقت قد مضى لدعوةٍ كهذه فلا يجب ان
نذكرهُ ولا نلتفت اليهِ وعلاوةً عليهِ كنت قد تعهدت
للمكسيكيين بعهودٍ عظيمة بان لا اكون سببًا لسفك
دم اما الان فشرفي وعظم المسئولية التي ثقل على ضميري
حملها سواء كان تجاه الديان ام تجاه التاريخ توقفت
مقاصدي كي لا اسقط تحت معظم الذنوب وها انني
منتظر رايك لتمدني بالاحتياطات التي تراها مناسبة
لموافقة الحال • وطبقًا لما اظهرتهُ لك في تحريري

للتخلص من الخطر الاتي فلا تتصور غير نجاح وحسن حالة المكسيك بقطع النظر عن الصوالح السياسية والخصوصية

الامضاء
مكسيمليان

اما مكسيمليان فكان يمكنهُ الخروج من المكسيك بدون ارتكاب ضد شرفهِ لكنهُ ضحى نفسهُ للممانعة واستعد للقاء كل امر وقطع رجاءهُ من مستقبلهِ فحدثتهُ نفسهُ بالباطل وقال لجيوشهِ . الموت ام الحيوة . وطلب من اعدائهِ انجاز الامر فقبلوا طلبهُ فمشي حزب الليبيرال لجهة كوارترو (مدينة في المكسيك الى الجهة الشمالية من مكسيكو) وسار مكسيمليان لملاقاتهم وترك مركز حاكما في مكسيكو ولما وصل اليها توطن في كازينو وشنتس كلوب هوس وهي اشهر اماكن المدينة ولم يقم فيها سوى بضع ايام الى ان بلغهُ قدوم الليبيرال لمحاربتهِ فخرج وترك المدينة خلفهُ وكانت محلاتها الشهيرة مبنية في

كاردرو لا كبانيا حيث ذهب اخيرًا وعاش عيشة
الفقر كادنى نفر من العسكر وابى ان يدخل تحت ظل
صيوان نصبهُ لهُ الجنرال ميجيا وكان قد اهداهُ اياهُ تجار
ما نامورس رغبة في التقشف لانهُ كان ينام ليلاً مرتديًا
بغطاء بسيط وفي النهار كان عرضةً لحرا الشمس وان
سالهُ احد عن نتيجة هذا الامر كان يجيبهُ لست الان
الا جنديًا فيجب ان اعيش عيشة جندي · ولعدم اعتناء
الجنرال مركز في تدبير الامور قصدًا منهُ تمكن جيش
الليبرال من اخذ مركز الجيوش الامبراطورية عوضًا
عن تاخرهم الى الوراء وملكوا اعلى محل في المدينة
وحينئذٍ كشفت الخبايات براقعها واتفق مركز مع لوبز
وفي ٣ ايار حرر الامبراطور الى مركز الجزار مكتوبًا
يقول فيهِ

جناب الجنرال مركز

انهُ بعد ما انقطعت عنا الاخبار مدة طويلة من

جهة العاصمة قد وفدت اليَّ جملة تحارير من جهات
عديدة التي جرحت قلبي وشوشت حاسياتي لانها
اخبرت عن حوادث لم نكن نرغب حدوثها انلهُ لحفظ
شرف عرشنا لانك عند ذهابك الى مكسيكو (عاصمة
المكسيك) وحصولك على مرغوباتك قد استعددت بقوة
كافية لجمع طابور من الرجال وصرفت عليهم اموالاً
لم نكن بغنى عنها بناء على انك تحضرهم الى هذا المكان
لكنك تصرَّفت تصرفًا مغايرًا للقوانين فكنت مترددًا
في اعمالك متهاملاً باجرايها ولم تاتِ لمساعدة مدينة
بوبلا (مدينة الى جنوب المكسيك) التي كانت محاصرة
وسببت بتاخرك خسارةً عظيمة القدر وزعزعت ما
توطد من السلام مع انك كنت قادرًا فتاخرت لعدم
دراية منك اما ما ارتكبتهُ من جناية تقهقرك فهو اشبه
بالهرب وكنت ارغب ان لا اتكلم الان عن الخوف
والجبانة اللذين حملاك على ان تتفق مع الليبيرال على

تسليم العاصمة واود ايضاً ان اغض النظر عن الحقد والغضب اللذين هيجاك ءالجاًك ان تتعصب ضد المملكة على وجه البغي والعدوان وعن مسالك الظلم التي لا يحسبها التاريخ آيالةلخيرنا هنا وقد تولدمن هذه الاعمال نتائج موذية اضحينا بها عرضة ليس لعموم الشعب فقط بل لدى اصدقائنا الاعزاء ايضاً نظير فيدوري ودي لابورتلي واسبجو وغيرهم الذين اخذوا على انفسهم الحيادة كي لايشاركونا بافعال كهذه كما انك سلبت اموال العاصمة ظلماً لتسترجع مابذرت من الاموال التي اوهمت الاهالي انها صرفت على الاجرآت الظالمة وعلى ذلك اصبحت الجيوش التي تقاسي المصائب والاهوال المدافعة عن هذه المدينة ملتزمة أن تتحمل كرب الجوع وقد نفدت ذخيرتهم الحربية وكل ما اصهروهُ وسوروهُ من اجراس الكنائس اضاعوهُ سدى فكيف تسلم اذاً هذه المدينة ولا تسقط بيد العدو وتهبط امبراطوريتنا ايضاً

حيث ان في عصرنا هذا لاتسود سوى الترتيبات والنظامات السياسية وتقدم الشعب

وبما انني لم اترك شيئًا ظننتهُ حسنًا الا وباشرت في اجرائهِ فضميري غير قلق وقد اقدمت على كل ما استطعت فعلهُ ولم الُ جهدًا من غرس الامنية والسلام والمحبة في اذهان الذين لاذوا بنا وخدمونا وبعونهِ تعالى اتوا باثمار صالحة نظير ما املت من غرسها الصالح واقاموا لنا برهانًا واصحابهِ يحكم المورخون في الاعصار المستقبلة على حسن نوايانا وسلوكنا وبناء على ذلك انني اجحد كل عمل جرى مغائر للقوانين والعدالة لانني لم اجز امرًا منافيًا للحق ولم اثبتهُ او اسمح بهِ قط الامضاء

مكسيمليان

وهاك تحريرًا اخر كتبهُ الى وزير الحرب في ٢٦ نيسان ويظهر منهُ انهُ كتب قبل سقوط كوارترو بعشرين يومًا حيث ان الجيش لم يزل مؤتمنًا

من كورترو في ٢٩ نيسان سنة ١٨٦٧

ايها الوزير العزيز اريبان· وصلنا تحريركم رقم ١٧ الشهر الجاري تخبرنا بهِ عن حالة عاصمتنا وامنيتها وانها غير مبالية بخطر يطرأُ عليها اما نحن فلم نزل راسخين العزم امام كل ضيق وقوة وفي اول البارح في ٢٧ الحاضر امرنا الشجاع ميرامون ان يهجم على جيوش العدو المعسكرة في المقبرة وهم ١٠٠٠٠ نفر ومعهم عشرون مدفعًا ولم يحتج الامر الى اكثر من ساعة حتى فتكت جيوشنا المظفرة بهم واخذت ٥٠٠ اسيرٍ والمدافع كلها وسنلزم العدو ان يترك محلهُ وينهزم مشتتًا وبعد ذلك نسير لجهة عاصمتنا لنحامي عنها بكل بسالة وننتشلها من كل ضيق لان ذلك عظيم الاهمية لدينا ونضاعف قوتها الحربية فتزداد قوة ونشاطًا

الامضاء

مكسيمليان

والظاهران مكسيمليان حينئذٍ لم يزل لهُ امل بالنجاح

ولو كان ضعيفًا ولكن كلامهُ لم يكن من ذلك الوقت الى النهاية متجهًا الى ما فعلهُ بل كان متظاهرًا بهِ ومؤملاً بما تاتي بهِ لعلّ وعسى

اما الجنرال مركز فعوضًا عن ان يرجع الى كورترو مع جيش الامبراطور الاجنبية حسبما امرهُ سيدهُ تصرف حسبما قادتهُ اليهِ افكارهُ وقد اتفق ميرامون مع حزب الليبيرال اماراميرز (احد جنرالية الامبراطور) فكان مشتغلاً بتدبير حيلة بها يسلم مدينة كوارنا ويحتج بانها اخذت منهُ رغمًا عنهُ بهجمة قوية وهكذا لويز خان ايضًا . اما الاحزاب الامبراطورية فكانت لم تزل الى اليوم السابع من شهر ايار تضايق المهاجمين وتوقع بهم خسائر عظيمة وقد ظفرت في خمس عشرة هجمة ومن ٧ الى ١٥ ايار لم يحصل شيء مهم وعلى ما يظهر انهم بعدما جربوا العدو وعرفوا قوتهُ توقفوا عن القتال ليجددوا قوة بها يقيمون معركة ويحرزون هجمة ففي

اليوم الخامس عشر صباحاً تعينت المراسيم الحربية
واعطيت الاوامر وامل كلٌ بالنجاح وظنوا بانهُ اذا
امكنهم تشتيت جيوش الليبيرال على الاقل يقدرون
على رفع الحصار عن المدينة وفي غضون ذلك انتصب
رجلٌ اشقى خلقهِ وخراب كل نظام وتدبير حسن
وعوضاً عما كان منتظراً من اس النجاح حوّلهُ بخيانتهِ
الى خسارة وخراب عظيم القدر على هام من امنهُ وسلم
اليهِ امرهُ وكان هذا الخاين المحتال رجلاً من اعز اصدقاء
الامبراطور وهو الكولونيل مكل لويز الذي كان قبلاً
فريقاً وحاكماً على قلعة شابولتيك وكولونيلاً على خيالة
الامبراطور وصديقاً لسيدهِ الذي غمرهُ بافضالهِ وجعلهُ
عراباً لولدهِ وانعم عليهِ بنيشان ليجيون دو نور وقد باع
سيدهُ مع كل ما انعم عليهِ بهِ بثلاثة الاف اوقية من
الذهب وذلك عندما تنصف الليل دالموش قد
امنت على انفسها وهي شاكية السلاح ضمن ذلك الحصن

المنيع الذي كانت متحصنة بهِ ومما حصل في تلك الليلة
هو انهُ قد احاط جيش العدو بخيمة الامبراطور الذي
لما استيقظ ورأى ما الم بهِ تقدم والسيف مشهر بيدهِ
ليسلم نفسهُ الى امير الالاي ووقف ذلك الخاين لويز
يهدي العدو على سيدهِ ويأخذ منهم الثمن المعين
وتقدم اسكوبد في الحال الى الامبراطور واخذ السيف
بدون مقاومة ولم يلزم الامر لاطلاق مكحلة واحدة وهكذا
تسلم العدو مفاتيح الحصن والمدينة ومن كان فيها عن
يدِ من كان ملتزما بحسن المحاماة واصبح مرآة للمكر والخداع
لانهُ لولا وجودهُ لما جرى هذا الخراب غير انهُ ابتدا من
ذلك الوقت ان يقدم خداماتهِ لفرنسا بعد ما كان قد
حارب تحت قيادة جنراليتها مرارًا عديدة وقد ظهر
غير مستحق لكل ما غمرهُ بهِ مكسيمليان من النعم
وخلد لهُ ذكرًا في صفحات التاريخ تتحدث بشومهِ كل
الاجيال

ومما حكي عنهُ انهُ كان قد التزم قيادة فرقة من الطبجية تابعة لفرقة فرنساوية وأُمران يذهب ويقيم في كفر قد سلم للامبراطورية اخيرًا احترازًا من ان يتعاصى مرة اخرى عليها او تاخذهُ جيوش العدو المشتتة بين الاحراش وعلى ذلك كان في بلاد موتمنة لاعدو فيها ولا يختال في بال احد ان هذا الشخص يتصرف معهم كعدو ويوصل اليهم اذيةً واذ كان لامحل للعسكر في تلك القرية تفرقت الخيالة وسكنوا في بيوت الاهالي الذين كانوا يعاملونهم احسن معاملة وقد قابلوهم عليها بافظع صنيع . وكان مع هذه الصفوف شاب يسمى جوزه قد الفهُ لويز ووقع بينهما ودٌّ والفة عظيمة . ففي احد الايام زار جوزه صدفة بيت احد اغنياء الفلاحين فاستوطن عندهُ بكل راحة مطمئن البال آمنًا من ضرر لويز لهُ فطمحت عينهُ على غنى هذا الرجل وطمع بهِ وشرع بظلمهِ واختلاس اموالهِ غير مكترث بخشية

القصاص حتى لم يبقِ لهُ عقالاً وتصرف بجرية كاملة باثاثهِ وسكانهِ

وكان لهذا الفلاح هرريرا ابنة بديعة الجمال تسمى اسميسيون كانت تنفر متضجرة مما اصاب والدها من هذا الرجل الردي الطباع غير انها اظهرت الجلد واخفت الكمد ولكي تخفف عن والدها اثقال هذا الشقي اخذت تقدم لجوزه كل مرغوباتهِ ومشتهياتهِ بدون ان يطالبها ولم تكن تبلغ من العمر اذذاك اكثر من الست عشرة سنة وبذلك كانت تتصرف تصرفاً يفوق قدرة النساء اضعافاً لصغر سنها وتحتمل كل ما تتكبدهُ من الاتعاب لتنقذ اباها من بلايا وعنا وتجبر جوزه اما المذكور فانهُ حمل كل ما كانت تعملهُ لهُ من حسن الصنيع الى مرضاتهِ وحبهِ فافتتن بها وكاشفها بما عندهُ لها من الغرام اما هي فاخفت ذلك واظهرت لهُ انها لم تلحظ شيئاً من ذلك ولما راى منها ما راى واستخف نفسهُ عندها اخذ

يقهرها ودعا والدها خداعاً ومكرًا واسرَّهُ بشدة ميلهِ
لابنتهِ وطلب منهُ ان يزوجهُ اياها متاكدًا ان طلبهُ
يحوز القبول ظنًّا منهُ برغبة ابيها بمن هو نظيرهُ متقدم
في الوظائف السامية وقد توهم بانهُ كالاباء الذين
يغصبون بناتهم بقبول من لا يرغبن بهِ طمعاً بما لهم من
النعم الكثيرة او بوظائفهم السامية التي قد حصلوها او
لمقاصد اخرى غير ان افكار جوزه اخطات ولم تصب لان
هرريرا بعد ما سال ابنتهُ عن هذا الامر وابت اجابهُ
قائلاً ايها السيد ان ابنتي لم تخلق لتكون عروساً لسيد
نظيرك فانها ابنة فلاح ويجب ان تقترن برجل فلاح
نظيرها يمكنهُ معاطاة الفلاحة والزراعة اللتين يتوقف
عليهما تقدمهُ فحنق جوزه من هذا الجواب واخذ ينتقم من
والدها المسكين اشد الانتقام فلما نظرت اسميسيون ذلك
اسرعت وانطرحت على قدمي جوزه باكية وطلبت منهُ
ان يتحنن على والدها ويكفيهُ شرهُ لان هذا الامر لا يعنيهِ

ولكن بئس مافعلت لان هذا الرجل الشقي اكمل انتقامهُ من والدها بفضيحة ابنتهِ واخراق حرمتها واذ كانت لم تزل تعاصيهِ اخذ يعاملها بكل انواع العذاب فقطعت الابنة من هذا العمل الفظيع اماها واخذت خنجرًا عن طاولة هناك كانت قد اعدتهُ لهُ وضربتهُ بهِ في صدرهِ فالقتهُ قتيلاً على الارض يخبط بدمهِ فلما بلغ هذا الخبر مسامع لويز بادر مسرعًا مع طابور من عساكرهِ ونهب البيت وقبض على الاب والابنة وربطها بجانب شجرةٍ وامر بقتلها بالسرعة . وهذا مما حكى عن لويز وقبح افعالهِ

وفي اليوم الثاني من اتمام هذا العمل المنكر بينما كان لويز يتنزه متبخترًا في اسواق كوارترو صادف الكولونيل رنكن كالاردو (اوبيبي رنكن) فقال لهُ ايها الكولونيل انني لست نظيرك من اصحاب الثروة والغنى والصيت وليس لي سوى سيفي اعيش منهُ فاومل ان اكون عندك بين قواد حزب الليبيرال فاجابهُ رنكن ايها

الكولونيل لويزان الوظيفة الوحيدة التي اقلدك اياها
هي انني اقلد عنقك حبلاً اعلقك بهِ في احدى الاشجار
فاختفى مكل لويز ولم يرهُ احدٌ منذ ذلك اليوم

واذ كان قد تهيج بعض الاوروبيين من ذلك
العمل القبيح بادر بعض الضباط من حزب الامبراطورية
وحرر الى اسكوبدو تحريراً هذه صورتهُ

الى سعادة الفريق اسكوبدو

ايها السيد ان ما قلدنا بهِ الجنرال بازين من
الوظائف قد انتهى مع سقوط الامبراطورية ونحن
الواضعين اسماءنا ادناه نرجو من سعادتكم اذا قبلت
واستحسنت ذلك ان نخدم مع من يتعلق بنا من الانفار
في حزب الليبرال ونتامل ان تؤكد ذلك ايها السيد
وعلى كلٍ نحن لسعادتكم خدام امناء

الامضاوات

ارنست دوروزفيل زعيم الخيالة

جان ريكون	قايمقام
كارل سميث	زعيم
فلكس ديافر	قايمقام
اوجان بلي	حامل العلم
بيار هيرود	قايمقام الخيالة
فيكتور نومل	• •
بول كوان	• المشاة

فاجابهم اسكوبدو

ان هذه الامة لاحاجة لها لحفظ سيادتها بمساعدة الاجانب ولا تقبل معونة اناس اتوا اليها وسفكوا دم اولادها بحرب جائرةٍ واخترقوا كل عوائدها وعوائد شعبها المتمدن ولذلك اجبرتهم الجمهورية ان يسلموا سلاحهم وبناء عليهِ ان اعراض الواضعين اسماءهم اعلاه غير مقبول

فمن هذه الحوادث المفيدة المؤثرة يظهر للقاري

امثولات عديدة لما يراهُ من المناقضات والمقابلات بين الامانة والخيانة

وفي الثالث عشر من شهر حزيران تعلق على جدران مدينة كورترو الاعلان الاتية صورتهُ من مجلس الحكومة العسكرية الشمالية من مكنة المعسكر العام في كورترو وحصل منهُ قلقٌ عظيم في المدينة ولم تمض ساعة من الزمان حتى قراهُ الجميع . انهُ في ١٢ الجاري الساعة الثامنة صباحاً ينعقد مجلس حربي موءلف من الضباط المدونة اسماوهم في هذه العريضة الرئيس الليفتنان كولونيل بلاطون منشز

اعضاء المجلس (كابينه) . جوزه راميرا كبيتان مكل لوجيرو كبيتان . جوان كودا إ أنزا كبيتان . جوزه فرسا نيجين كبيتان . لوتافيلا كران كبيتان .

وان هولاء جميعهم يجتمعون في الوقت المعين الى تياترو ابوربيد وكل الضباط الذين ليس لهم مداخلة

في هذه الجلسة يمكنهم الحضور والملاحظة وفي الساعة السادسة صباحًا يقف امام هيكل لاس كبوشينا خمسون فرقة من جيش دونالينا تحت قيادة ضباطهم مسلحين تسلحًا كاملا ومجهزين تجهيزًا تامًا وخمسون نفرًا ايضًا من فرقة الحرس من الصنف الاول يحضرون بالاستعداد التام مع ضباطهم وهاتان الفرقتان تكونان تحت امرة وادارة الكولونيل مكل بالاسيوس الفريق من الصنف الثاني الامضاء

قائد الفرسان

وعند اجتماعهم اجروا جميع اعمالهم بدون شفقة لان الامبراطور حضر الى المجلس ولم ينفعهُ كل محاولة عديمة الفائدة وكانت فرانسا وانكلترا وبروسيا قد افرغت منذ شهر جهدها ولم تبدها ذلك نفعا ولم يات بنتيجة ما تعرضتهُ النمسا باعطائها كل تضمين وتعويض كل ضرر وقد ذهب سدى كل ما كتبهُ مكسيمليان

الى جوارز من التحارير ولم تجدِ نفعا تلغرافاتهُ لهُ وهذه صورتها

من مكسيمليان الى جوارز

من كورترو في ٢٥ ايار سنة ١٨٦٧

لست بارعًا في اللغة الاسبانيولية الشرعية واومل انهُ اذا تاخر محاميَّ عن الحضور تعطوني المهلة اللازمة لمحاماتي ولتدبير اعمالي الخصوصية

جواب الى الجنرال اسكوبدو

من صن لويس دي بونسي في ٢٨ ايار سنة ١٨٦٧

قد اطلع الرئيس في هذا النهار على تحرير تلغرافي وارد من مكسيمليان بتاريخ ٢٥ ايار مآلهُ ان المذكور ليس ببارع في اللغة الاسبانيولية الشرعية ويطلب انهُ اذا تاخر محاموهُ عن الحضور في الوقت المعين ان تعطى لهُ المهلة اللازمة للمدافعة عن نفسهِ ولتدبير اشغالهِ الخصوصية فاجاب الرئيس عن ذلك انهُ اذا

وصل المتشرعون الذين سمتهم الشريعة عند نهاية المهلة المعينة فيمكنكم ان تسمحوا لهم بالفرصة التي تقررها القوانين لاجراء ايجاب الحكم فبهذه الفرصة يمكنهم ان يتعاطوا بها المحاماة وتسمحوا ايضاً بذلك الى رفاقه واطلعوا مكسيمليان على جوابنا هذا

من مكسيمليان الى جوارز في ٢٧ ايار تلغراف

جناب الرئيس

حسب امر الجنرال اسكوبدو قد ارسلت الى مكسيكو تحريرًا ادعو بهِ البارون مانيوس والمتشرعين ليحضروا الى هنا فارسل لي البارح الجنرال دياز تلغرافاً يقول فيهِ انهُ لا يدع احدًا يطلع على اعراضي في مكسيكو بدون امر من الحكومة السنية فاومل اذاً ايها الرئيس ان تكرموا بارسال هذا الامر ليمكن الاشخاص المنوه عنهم ان يحضروا الان حضورهم ضروري لمحاماتي وليحضر معهم ايضاً نواب النمسا وبلجكا وان لم يات هذان

فيحضر نائبا بروسيا وايطاليا لانهُ يجب ان ارتب بمعيتهما اشغالاً عائلية وسياسية كان يجب اتمامها منذ شهرين

ايضاً من مكسيمليان الى جوارز في ٢٧ ايار

جناب الرئيس

انني ارغب ان اكلمك شخصياً عن امور مهمة ضرورية لصالح البلاد فلا اظن انك تحرمني من مقابلتك برهةً وجيزة انني مستعد للذهاب الى صن لويس دي بوتسي ولا ابالي بالصعوبات

جواب الى الجنرال اسكوبدو

من صن لويس دي بوتسي في ٢٧ ايار

قد وقف الرئيس على الاعراض المتقدم من مكسيمليان بخصوص خروج البارون مانيوس والمتشرعين. من مكسيكو بعيداً عن حدود جيوش الجنرال دياز المحاصرة وبهِ يذكر عن وجوب حضور سفيري النمسا وبلجكا اللذين كانا في ايام تبوا

مكسيمليان تخت المكسيك وان لم يحضر هذان الاثنان
فيحضر سفيرا ايطاليا و بروسيا لتميم الاشغال المنوه
عنها فبناء على هذا الاعراض قد نحسن لحضرة الرئيس
ان يامر برفع كل صعوبة تمنع ايجاب ذلك بشرط ان
الاشخاص المذكورين يحضرون في الوقت الذي تعينهُ
القوانين واعلموا بذلك الجنرال ديازحتى اذا لم يحضر
المذكورون في الوقت الموجل يصير روية الدعوى
حسب اصولها وحينئذ يمكن مكسيمليان ان يسمي
متشرعين خلافهم غيران ما خص طلبهُ من مقابلة
الرئيس فذلك لايمكن ايجابهُ لبعد المسافة التي بينهما
واحتراماً للقوانين ولكن اخبروهُ انهُ لايجري غيرما
يوافق الحال ويطابق القوانين اما ما خص المهلة
المعطاة لمحاماة الاسرى فيجب الاستعلام عنها وهو انهُ اذا
كان يلزم روية الدعوى جميعها في برهة اربع وعشرين
ساعة او يلزم لكل شخص هذه المدة لروية دعواهُ وعلى

كلٍّ قد سمح الرئيس بمنحها لكل فرد . انتهت المراسلات التلغرافية

وكل ما حاول عليهِ الامبراطور من هذه المكاتبات هو زيادة مهلة بضع ساعات وان يحاكم حسب القوانين لانهُ كان قد سجن من مضى شهرين باحدى الصوامع في دير الكبوشيين فكان كل سجنهِ في الطابق الاسفل في موخر رواقات الدير وهو محل صغير ليس فيهِ غير فرشة عسكرية وخزانة وطاولتين واربع كراسيّ صغار من الخيزران ذو ارض خشنة جدًّا وباب واحد وشباك واحد لجهة الرواق وكان على الباب حارس في يده بندقية لا يفارقهُ من الصباح الى المساء . اما الشباك فكان يحرسهُ ضابط وقد تعين لحرس المحل ليلاً جنرال وثلاثة من الضباط والسلاح في ايديهم . اما الجنرالان ميرامون وميجيا وهما من احلاف الامبراطور فسجنا في مخدعين قرب مخدع سيدهما واعطيت لهما رخصة بان

بحدثاهُ واذ كان مكسيمليان قد اعيا من مشقات الحرب وملاقاة الاهوال واضطربت افكارهُ مما وصل اليهِ سقط مريضاً فالتزموا ان يدخلوا اليهِ طبيبهُ الخصوصي الدكتور ربش وخادمين اوروبيين وكان يحضر لزيارتهِ نهاراً روساء المجلس السياسي وموسيو لاكو سفير النمسا الذي امكنهُ بعد افراغ الجهد ان يخرج من العاصمة رغماً عن تعصبات مركز من هذا القبيل وكان ياتي ليعزي سيدهُ الامبراطور ويصرف عندهُ ساعات طويلة . ما الامبراطور فكان يعامل كل من زارهُ احسن معاملة كانهُ في قصرهِ في شابولتبك مع انه في ادني واتعس حالة ولم يفتر اجتهادهُ عن مداراة شرفهِ وصيتهِ واذْ طالَ سجنهُ حررَ في ١٠ احزيران تحريراً مع وصيتهِ عن يدِ كاتم اسرارهِ دوريا هذه صورتهُ

قد سرتُ مع لفيف جيشي مستعداً للحربِ الانتهائيةِ لحفظِ حقوقِ الحكومةِ المكسيكيةِ وحقوق اراضيها

وثبات ملكها واستقلالية شعبها وربما انني اجرّع كاس
حمامي في هذه الحرب ويقضى على المكسيك التي طالما
احببتها وهمت بها وتصبح بلا رئيس ولا مترأس لان
النيابة التي تركناها اولاً لحذاقة ودراية قريبتنا المعظمة
الامبراطورة كارلوطا مسلمين ذلك لمساعدة العناية
الالهية لا توجد الان لان الامبراطورة سافرت الى اوروبا
وبقيت النيابة مظنة للوهم ومعرضة لامر الصدفة فيجب
علينا اذاً ان نتبصر تبصر الرجل العاقل ولا نترك
البلاد خاليةً من حكومة ثابتة توافق روح العصر
الحاضر لان المكسيكيين لا رغبة لهم بتغيير حكومتهم
السلطانية وبما ان هذه السلطنة لم تزل حية حتى الان
فعلينا اذاً ان نقيم لها نواباً يدبرون امورها في وقت
غياب الملك عن عرشهِ ولذلك قد أعتمدنا على قيام
نواب يكونون سنداً ومحوراً للسلامة والمحبة ويحفظونها
من المصائب المكدرة التي ربما تلم بها اذا اسمحت التقادير

بفقدنا وبهذا العمل الوحيد اظهر محبتي للمكسيكيين ولعل هذه المرة هي الاخيرة التي اظهر لهم قلبي بها موءملاً انهم يحافظون بكل تدقيق عن كل ما قلتهُ لان الذين فوضنا اليهم ادارة الحكومة واجراآت القوانين هم من اولى الدراية والذمة وعلى جانب عظيم من المحبة الاهلية اذ انهم وطنيون ولا اشك انهم يكونون محبوبين لدى عموم الاهالي

وبناءً على ذلك قد سمينا ثلاثة اشخاص للنيابة وهم الدن ثيودوسيوس لارز رئيساً لمجلس العدلية المالي والدن جوزه دولاكونزه رئيساً للمجلس الشوري والدن ليونردو مركز قائد الجيوش العام ونسي لهم نواباً يقومون مقامهم عند الضرورة وهم الدن توماز مورقي والدن توماز ميجيا وهؤلاء جميعهم يحكمون حسب نظام المملكة

ثم انهُ بعد نهاية الحرب على وجه من الوجوه سواء

بانتصار الجيوش الامبراطورية ام بهدنة ام بوسيلة
اخرى تحجب سفك الدماء وتوطد الراحة والامنية
فالنواب يتخابرون مع الكونكريس (مجلس نواب
شعب امريكا) الذين هم عوض عن باقي الاهالي ويبطل
عملهم وحكمهم اذ لم يتفقوا مع الكونكريس الذي يرجح رايهم
حينئذٍ . واذا قضي علينا فقد عينت سلفًا قائدًا عامًا
لجيوشنا لوقت اجتماع النواب الدن ليونردو مركز
وجناب الدن مناويل كارسيا اكيير وزير المعارف
يكون مسئولاً بتبليغ مقاصدنا هذه ويعرب عن
حاسياتنا لدى الامة والنواب الذين ذكرناهم واخيرًا
ان الوصية الوحيدة التي نوصي بها نوابنا المحترمين ان
يقتفوا اثارنا ويتبعوا بتدقيق كل القواعد الذهبية
والقوانين العادلة التي رسمناها لهم والتي هي وحدها
البينة الوحيدة لسلوكنا والمرآة العادلة الامينة لذكرنا
وهذه القاعدة انما هي المواظبة على الاستقامة واجراء

العدالة وان يحافظوا على شرف الامة وعدم اخُتراق
حرمتها وعن وقاية حيادتها وحدود ارضها وان يجعلوا
سياستهم توافق كلاً من الاهالي

وهذه صورة الوصية

انهُ اذا فرغ اجلنا فتبقى مملكتنا بلا عوض لسبب
غياب قرينتنا الامبراطورة كارلوطا فبناء على ذلك
واحترازاً من ان نتهامل في ايفاء واجباتنا لنحو الامة
المكسيكية ولنظهر لها ان الموت لايعيقنا عن اجراء
صوالحها يجب ان نخلف حكومة تعرفها الامة ضداً
للتحزبات وعلى هذا نظن انهُ بواسطة الكونكريس الحرة
الافكار والعادلة التصرف نقرر الهيئة التي جرى على
موجبها حكمنا الحالي الذي هو السلطنة ومن الضرورة
يجب ان تكون الحكومة مرتبطة بقوانين يجريها النواب
وهذا ما تقررهُ

البند الاول ان النواب الذين ينوبون عنا

بعد موتنا هم الدن ثيودوزيوس لازر والدن جوزه لاكونترا والجنرال ليونردو مركز

البند الثاني ان النواب يحكمون طبقاً لقوانين مملكتنا المقررة

البند الثالث ان النواب يتخابرون مع الكونكريس الذي هو بمقام جميع الامة بعد نهاية الحرب اما بانتصار احد الفريقين او بالهدنة

البند الرابع ان النواب يبطل عملهم وحكمهم حسب اوامرنا المقررة ان لم يتفقوا مع الكونكريس وان وزير المعارف يخبر وكلاءنا ونوابنا المذكورين انفاً بكل هذه عندما تمس الحاجة

هذا ما اورده الامبراطور من الشهامة والغيرة والمحبة ومع ذلك سقط وعند سقوطهِ اتجهت محبتهُ لاصدقائهِ الذين عول عليهم في اخر حياتهِ

ثم ان الامر التعبس المحزن الذي خرج في ١٢

حزيران لم يغير ثبات مكسيمليان ولم يشوش افكاره

الفصل الرابع
في محاكمة مكسيمليان

قد آن آن المحاكمة الجهارية واتت الساعة الثامنة وحضر الوقت المعين وهجمت الساعة الرهيبة واكتمل اجتماع الشعب في مرسح اوتربيد ووفدت اعضاء المجلس الحربي. ان المنظر لمخيف جدًّا

وحينئذٍ جلس ارباب الدولة في المكان الاعلى المعد لهم والمتفرجون في ساحة المرسح واعضاء المجلس الحربي في الجهة اليمنى وجلس المدعى عليهم على كراسيّ صغار في الجهة الامامية وجلس محاموهم بقربهم على كراسيّ كبار وظهرت على وجوه الحاضرين تاثيرات مكربة محزنة واستحوذ عليهم الصمت التام واحضر في الساعة التاسعة الجنرال ميرامون والجنرال ميجيا الى

المرسح ضمن مركبةٍ محاطة بالحرس من جهاتها الاربع فان جهتها الامامية والورائية كانت موءلفة من ابطال اشداء متقلدين بالاسلحة وهم من فيئة كالينا والبقية من عساكر الفيئة الرابعة من الصنف الاول نحو انظين حراستها . ها الرئيس يفتح الجلسة قائلاً قد جلس ارباب الحكم المتشرعون والمحامون كلٌ بموضعهِ لابساً ثيابهُ الرسمية . فليحافظ على الصمت التام حيث لايسمع صوت لان الجنرال الليفتنان كولونيل مانويل اسبيروزا يقرأُ دعوى كل واحدٍ وما اجابهُ عن نفسهِ (اي يقر تقرير الدعوى) فتلا تقرير ميرامون وميجيا ثم تقرير الامبراطور واعتراضهُ الذي قدمهُ ضد المجلس الحربي وهو . ان محاكمتهُ قد اجريت بقوانين غير عادلة ونسبت للشريعة التي سنّت والقوانين التي تقررت في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨٦٢ ضد الذين يخونون الوطن واردف قولهُ مدعياً انهُ اجنبيٌّ ولا تنسب لهُ

خيانة وطن غير وطنهِ وبما انهُ قد تقلد بهِ تميم وظائف مهمة سامية فلا حكم للشريعة عليهِ لانهُ فوق احكامها وقرأ ايضًا اعتراض ميرامون وميجيا على الموضوع نفسهِ الذي اعترض عليهِ الامبراطور

وبعد تلاوة هذه التقريرات على مسامع الحاضرين ابتدأُوا بمحاكمة ميرامون وميجيا بحضور محاميهما واخيرًا شرعوا بمحاكمة الارشيدوق وهو غائب عن المجلس وقد لازم فراشهُ من ايام لما الم بهِ من المرض الشديد المتزايد يومًا فيومًا فارسلوا اليهِ مناويل اسبيرز ليرى اذا كان يمكنهُ الحضور ولما رجع من عندهِ اجاب ان الارشيدوق لا يمكنهُ الحضور مطلقًا وقبلما ابتدأَ المحامون بالمحاماة عنهُ قرئ الاعتراض الاتي على تصرف الامبراطور وما اجاب عنهُ . (الاعتراض) اتدري ايها المصاف العالي انك مسئول بكل اضرار الحرب التي ثارت في المكسيك الجواب (وكانوا قد حصلوا عليهِ خطا) كلاَّ لست

بمسئول انما جوارز نفسهُ مطالب بكل هذا لانني بعد
خروج الفرنساويين ارسلت لهُ سفيرًا لاستشيرهُ عن
طلب هدنة عمومية وان نعفو عن كل من لاذ بنا وكان
سببًا لوجود امبرطور يتنفانى ولم يقبل وحينئذٍ لم يبقَ
لي من الوسائل غير المقاومة والمدافعة على قدر استطاعتي
لعلي احفظ وانجي قسمًا عظيمًا من اهالي المكسيك
فحصل حينئذٍ هياج عظيم وقرر المحامون بانهُ لا كفاءة
بالمجلس للحكم على هذه القضية غير انهُ يمكن لاعضاء
الدولة النظر بها ليس حسب القوانين المقررة اذ انهم
بينوا مقدمًا عدم حقانية الاعضاء لحكمهم بلا شهود ولا
ادلة وبراهين لان طريقة المحاماة التي اتخذوها توضح
عدم كفاءة الحكم مع وجود المحذورات المذكورة وقالوا
ايضًا ان الثماني واربعين ساعة التي منحت لروية الدعوى
والمدافعة هي غير كافية لان واقعة الحال تستلزم وقتًا
اطول والشريعة المدنية تستلزم ذلك ايضًا فبناء عليهِ

لايحرّم الامبراطور من وسائط خارجية للمدافعة عنهُ
وعلى كل الوجوه يقتضي المراعاة باجراء الحقانية
والعدالة بهدوءٍ وحكمةٍ تامين وبذلك تكتسب
الجمهورية شهرةً حيث لاشبهة فيما تعملهُ ولا يثلم شرفها
امام اعين الناس الذين ينظرون الى نهاية هذه الواقعة
المحزنة بضجر وقلق هذا وقد افرغ المتشرعون جهدهم
بايجاد الطرق المناسبة لصالح الامبراطور اما بانتحالهم
اياها عن غيرهم او انهم يخترعون حججًا لذلك من افكارهم
ولما راوا ان رجال الدولة لم تلتفت الى قولهم قالوا لهم
انهُ اذا استمروا على هذا الاهمال فانهم يمتنعون عن الكلام
وربما يمتنعون عن الحضور ايضًا لعدم حقانية وعدالة
مستشاري الدولة ومخالفتهم المحضة لقوانين الذمة
باجراء ايجاب هذه المسئلة ولولا ثبوت الحق عليهم
اذا تصرفوا على هذا المنوال لما كانوا يتاخرون عن
اجرائهِ وها اننا نبتدي الان برواية دعوى الامبراطور

المسجون

وحينئذٍ تكلم موسيو اورتيكا قائلاً بما انكم تطلبون ذلك فها انني مستعد لاجاوب عن كلما يتشكون بهِ ظلماً على المسجون غير انني لا اذعن للبراهين التي تقدمونها ولا اعتمد عليها وشرع في ذكر قصة مكسيمليان حتى انتهى بها الى دخولهِ المكسيك بقطع النظر عن كلما نسبوهُ اليهِ من الظلم والتعدي وانهُ اختلس اموالهم وقال انهُ حينما كان مكسيمليان في ميرامار وفد عليهِ نواب اهالي المكسيك مقدمين لهُ بوقار واحترام تاج امبراطورية المكسيك وكان دخولهم اليهِ بواسطة احد رجال الدولة النمساوية فابى قبولهُ اولاً لعدم قبول الشعب بهِ وفي اثناء ذلك وصل الفرنساويون الى المكسيك وتوطنوا بها فعقدت جمعية من الاشراف قر قرارها على وجوب وجود امبراطورية في المكسيك يتبوأُ عرشها الارشيدوق فاستوجبت الشكر على حسن

درايتها التي بها استمالت جماً غفيرًا من الامة واخذت
امضاواتها وقدمت بها تقريرًا الى الامبراطور المنتخب
ومع ذلك تمنع عن القبول ايضًا ثم استشار المجلس
الشوري العالي في انكلترا واجاب مجمع لوندرا ان
انتخاب الامبراطور صحيح بقبول الامة واتفاقها غير ان
قضاتها لم يكن لهم علم بذلك فقبل عند ذلك مكسيمليان
وحسب نفسهُ حاكمًا مطلقًا ومما زاد اقتناعهُ بذلك هو
حسن الملاقاة التي لوقي بها عند وصولهِ الى البلاد اذ
دخل مع عائلتهِ بدون محافظة الحرس الحربي الامر
الذي يدل على رضى الشعب التام وطلاقة الوجه في
المدن الداخلية عند اجتيازهِ من فيراكروز الى مكسيكو
ولانكار موسيو اورتيكا ان تنصيب مكسيمليان كان
بواسطة فرنسا ذكر انهُ وقع خلاف بين الامبراطور
وهذه الامة بخصوص الاتفاق الذي حصل في ميرامار
وذكر ايضًا ان فرنسا طالبت فسخ المعاهدة التي جرت
و

في سونورا وعدم قبول الامبراطور لها مبرهنًا بان البند
الذي قرر ذلك صار تسطيرهُ وبناء عليهِ لم يجب لدعوة
فرنسا عن مآل ذلك حتى يوم خروجها من البلاد ثم
ان مكسيمليان عند ما نظر تلك العلايم والادلة الردية
التي ظهرت بعد ذلك خرج من العاصمة واقام في
اوريزبا وفي كوارنافا ودعا اليهِ وزراءهُ وتخابر معهم
واستشارهم في سبب انتخابهِ وعن افكار الامة من جهتهِ
فاظهروا لهُ كل امنية ومحبة من الشعب وعلى ذلك
امضى الامبراطور القوانين التي تقررت في ٣ تشرين
الاول بعدما خدعوهُ وقنعوا افكارهُ بان الرئيس جوارز
قد اخلى الاراضي وان من جملة هذه البنود وجد بندٌ
قد نصهُ قائد جيوش فرنسا العام لم يحتوِ الا على قصدٍ
وهمي يظهر لمن يطلع عليهِ مقاصدهُ لانهُ لم يطلب عفوًا
لاحدٍ الا وتستجاب دعوتهُ وعلاوة عليهِ كان قد تقدم
اعراض لكنهُ تاخر عن صدور الامر الذي جرى اجابهُ

بالتدقيق وبناء على ما تقدم كان المحامون ينازعون على
عدم صحة وعدالة القوانين المقررة سنة ١٨٦٢ لعدم
موافقتها الذوق السليم ولعدم موافقتها حزب الليبرال
وحقوق الامة عندما يتنصب الغالب لمحاكمة المغلوب
وقد ختموا قولهم برجائهم من اعضاء المملكة وممن فوض
بث الحكم وتسجيل المضبطة المخيفة اليهم في ذاك النهار
بشرف التمدن وحق طهارة التاريخ ان يدفعوا عن
اسيرهم كمدافعتهم عن عتاق المكسيك من اسرها فانهم
بذلك يكتسبون الصيت الحسن والشهرة العظيمة
والذكر السعيد المخلد في بطون التاريخ مدى الاجيال
والاعصار ويتكرمون بالصفح الذي يحسب لهم انتصارًا
ووقفوا عن القراءة

ان الساعة التاسعة بعد الظهر قد حضرت والرئيس
قد اجّل الوقت الى الساعة الثامنة من الغد صباحًا
وفي صباح ذلك المساء في اليوم الرابع عشر من التاريخ

الجاري اجتمع المجلس الشوري والمجلس الحربي ومستشاروا الدولة ومجلس الولاية ولكن لم يحضر احد من المدعى عليهم فسال الرئيس حينئذٍ المحامين اذا كان عندهم شي يحتجون بهِ فاجابوا ان لاشيء عندهم في الوقت الحاضر الا انهم يحفظون حقهم الى وقت مستقبل

ثم ان موسيو مناويل اسبيرو المتحكم قرأ الضابط المقررة ضد المدعى عليهم مثبتاً ذلك طبقاً للقوانين الصادرة من المحكمة الملوكية مضيفاً اليها لحذاقتهِ ونباهتهِ ما يوثر في قلوب الحاضرين ونبه افكارهم الى نتيجة هذه الدعوى وكان من الشكايات التي تقدمت على مكسيمليان ما اصدرهُ من الامر في ٢ ادار الذي بهِ عين نوابًا يقومون مقامهُ اذا فقد حياتهُ في احدى هذه المواقع وان بسببهِ طالت مدة الحرب فانكر ذلك موس و فيكا لعدم تثبيت هذه الدعوى وافرغ جهده بفحصها فاجابهُ المتحكم ان البرهان على ذلك موسس على اشهر برهان لدى

العمومي وهو كافٍ لاثبات الدعوى وطبقًا للبند الثامن والعشرين من القانون الساني المقرر في ٢٥ كانون الثاني لاحاجة لنا الى شهود فان الذنب كافٍ ولا يلزم ان نلتفت الى ما يدعيهِ المحامون لان المشتكى عليهم قد قبضوا والسلاح مشهر في ايديهم وقد اشتهر ذنبهم لدى العالم باسرهِ وختم قولهُ ان المذنبين سيلقون اشدّ العذاب وامرّهُ فاخذ الخواجات فسكر وارتيكا يحاميان عن الارشيدوق بفصاحة تامة ورفض الاول قبول كل ما نسبوهُ لسيدهِ بغير حق وختم كلامهُ بهذه الجملة على مسامع رجال البلاط وهي

انكم اذا حكمتم على الارشيدوق بالموت فانكم تهينون العصابة الاوروبية والفئة المتحدة لان هذا هو عملها وانني لا اركن الا الى الجيش الجمهوري الليبيرال الذي طرد الفرنساويين من اراضينا ولا اخاف الامن المخطات واللعنات التي تستهدف بها بلادنا وتقع

علينا كحرم ثابت الهي لانطيق حملهُ الذي يثقل علينا خصوصاً عند موتنا لعدم حقانية قوانين مملكتنا

ونهض بعدهُ ارتيكا واظهر عدم استقامة القوانين ونبه افكار الجمهور الى الحقانية والعدالة التي تستدعي المتحكم لتلاوة واجراء ايجابها قبل المحاجة ليستوفي المجلس حق اتمام القضية بخصوص المدعى عليهِ ولامهُ على توطيد حكمهِ على ما اجاب بهِ مجلس المحاماة الذي لم يكن الا ضدًّا محضاً لما استوجبتهُ واقعة الحال وثلمهُ على ما قرر من الشرح على البراهين التي اوردها اذ لم تكن قد ادرجت في جرنال الدعوى. وهذا مما يدل على انهُ اتخذ عدم استماعهِ الجرنال وسيلة لاثبات قولهِ متخذًا من ذلك ابوابًا اخر للقدح بحق الارشيدوق ووضع الدعوى بهذا العمل في مركز قطعي لا يحمل المجادلة باكثر من كلمتين وهما اما الحكم بالعفو او الموت.

واجاب مجلس المحاماة عن البند الثامن والعشرين

الذي تكلم عنهُ المتحكم لتحقق غياب الشهود والبراهين المقررة خطأً انهُ قد مضى وقت المفاوضة لان كل ما طلب لتحقيق الدعوى قد تسطر

هذا ولم يفتكر المحامون ان موسيو اسبيروز يتفق مع مجلس الجمهورية المولف من شبان قد اجتمعوا للحكم وليس المباحثة والاذعان ولم يصدقوا بان المجلس العالي يتصرف بالقوانين والشرائع حسب ارادتهُ كانهِ يوءلف رواية لاصحة لها عوضاً عن تصرفهِ حسب قوانين الذمة وشرف الانسانية وقد اكتشف المتحكم هذا الامر واخيرًا سال موسيو فيكا احدا عضاء المجلس قائلاً باي حق الغيبت اوامر الحكومة السامية وان من اللزوم ان يجرى طبقاً للبندين السادس والحادي عشر المدرجين في القانون المقرر في ٢٨ كانون الثاني فقراها حالاً موسيو اورتيكا واجرى ملاحظاتهِ اللازمة على كل ما يناقض اصول الشريعة وقد استنتج موسيو

جوز كراي اموراً عديدة من هذه التقارير والمجادلات غير ان كل ذلك كان على سبيل المحاماة وقدم ايضاً موسبو مورينو اعتراضاته ضد قبول الشهادة التي اخذت بعد انتهاء الدعوى وختم المخابرة

وفي الساعة العاشرة اختلى المجلس الحربي ليسجلوا المضبطة وفي الساعة الحادية عشرة اعلنت وتم تسجيلها حاكمة على مكسيمليان دي هبسبورج وميكائيل ميرامون وتوماز ميجيا باحتمال اشد صرامة الشريعة اي الموت وقد عينت اجراء ذلك رسمت في اليوم السادس من شهر حزيران

ان وقت النهاية واجراء المجازاة قد دنا ولم يبقَ من حيوة مكسيمليان سوى ثلاثة ايام . وان كل ما اجري في اخر حيوة الامبراطور لم يجده نفعاً . لان وزراء انكلترا وامريكا قد توسطت هذا الامر ولكن لا من يسمع وقد ارسل كرولاد قومندان العمارة النمساوية الى رئيس الجمهورية تلغرافاً هذه صورته . قد علقت

كل اماني على جنابكم واننا جميعنا نترجى من شهامتكم
ونوال النهاية الحسنة وانني اقدم لكم فداء عن
مكسيمليان عهود السلامة والمحبة مع النمسا وعلى ذلك
اعد نفسي بان احظى على قبول الارشيدوق في بارجتي
وارجوكم اخيرًا تجاوبني

وبينا كانت تجري هذه الرسائل ذهبت البرنسيس
دي سلمسلم وانطرحت على اقدام الرئيس وطلبت منهُ
عفوًا لكنها لم تنجح وعند رجوعها من عنده دخلت على
الارشيدوق حيث كان مختليًا مع قرينها موسيو سلمسلم
دافعة الباب فحصل من ذلك منظر مرهب حيث
سقطت عليهم الخماة واسرعت وانطرحت مشققة
الازار بين يدي زوجها وكسي وجها بالاصفرار واللون
الترابي واعتراها مرضٌ عصبيٌّ قد جعلها ترتجف منهُ اما
الارشيدوق فكان جامدًا في زوايا المخدع ولما انتهت
المصافحة قال لها بصوت منخفض عسى تكونين قد نجحت

عند جوارز فاجابتهُ انهم يجرون ما وعدوا بهِ اخيرًا بتلغرافاتهم وهي المهلة اه ياسيدي كم انا سعيدة فاخذ يدها الارشيدوق قائلاً فلبطو بك المولى ايتها السيدة وليجاريكِ لانني لا اقدر ان اكافيك على هذا الجميل فتجالدت متبسمة وقالت اتصدق هذا ياسيدي فارجوك ان تهبني نعمة من لدنك فاجابها ليكن وارجوك المعذرة لعدم وجود ما نقدمهُ لكِ لانني اراكِ تعبانة جدًا. فقالت لهُ متنهدة لا تقلق نفسك لاجلي وافتكر بامراتك ياسيدي. فحينئذٍ فهم معنى كلامها وعرف ان وقت حلول اجلهِ قد اقترب لانهُ قد تعين اليوم التاسع عشر من شهر حزيران لاجراء المضبطة. واجتمعت في النهار المعين الساعة السادسة جيوش اسكوبدو في قسم حقير من المدينة وازدحم جمهور كوارترو ليروا اخر ساعة من حيوة سيدهم ولما اتت الساعة السابعة قرعت الاجراس اعلانًا على ان المسجونين قد خرجوا من سجنهم

ولا يرجعون اليهِ مرة اخرى وانهم قد وصلوا الى سبيل المنتهى ولم يمضِ غير برهة وجيزة حتى اقبلوا راكبين في مركبات محاطة بجمهور غفير من الحرس والشرط · اما مركبة الامبراطور فكانت في المقدمة يتبعها مركبة ميرامون ثم مركبة ميجيا اما مكسيمليان فكان عند خروجهِ من الدير يترنم بهذه الكلمات · ما اجمل هذا الطقس هذا ما كنت اتمناه في ساعة موتي ولما وصل المحكوم عليهم الى محل تتلهم ضج الجميع باصوات الحزن فوقفت المركبات وخرج من فيها ولم تبقَ عينٌ الا وسال دمعها سيلاً اشبه بماء الغمام ولما خرج مكسيمليان حياهُ الجمهور بالسلام اما هو فمشى غير مرتعد ولا مرتجف وتقدم بثبات تام الى ذاك المحل المعد بان تنقضي فيهِ حياتهُ

وعند وصول جميع المقضي عليهم وقف الامبراطور في المكان الذي عينهُ لهُ رئيس الجلادين وتكلم بصوت عال غير مكترث بما سيلم بهِ قائلاً · لما قدم لي المكسيكيون

ذلك التاج ورفضته في المرة الاولى ولما ثنوا ثانيةً ما
رفضتهُ اولاً اذ اجبتهم انهُ اذا كان عموم الامة ترى
ان تبوإِي تخت مملكتها ياول لصالحها وترقية اعمالها
فاقبلهُ ولما ثلثوا استدعائهم وقبلتهُ بناء على زعم الممالك
الاوربية وعلى ذلك ليس للمجلس الحق بالحكم عليَّ
لان حالتي تستدعي الحكم العادل لان شعوب الارض
قد تعهدت بحفظ سلامتي ولولم اجد ان ذلك آيل
الى صالح المكسيك لما قبلتهُ مطلقًا وانهى كلامهُ قائلاً
انهُ يومل ان موتهُ يمنع اهراق دم بقية الاهالي
وبعد هذا الاقرار الموثر وهذا السماح والشهامة
تلا ميرامون تحريرًا مآلهُ . انني لا اتاسف على شي حتى
في ساعة موتي الحاضرة الا على اولادي الذين سيلقبون
بعدي بالخائنين ويكون ذلك اذا انتصر حزب الليبرال
لانني كنت اناقض دائمًا اعمالهم المغايرة للعدالة والحقانية
وهكذا كما عشت اموت واموت فدية عن الوطن غير

ان ذكرا عمالي الخيرية لا يموت والذي يخلفون الجيل الحاضر سيحكمون في المستقبل على اعمالي ان كانت عادلة او ظالمة قال هذا وصرخ ليحيَ الامبراطور ولتحيَ المكسيك . ولما فرغ ميرامون من كلامهِ تقدم الضابط المعين لاجراء المضبطة من الامبراطور وطلب منهُ ان يسامحهُ قائلاً . "انني لا اقر بعدالة هذه المضبطة ولكن بما انني جندي يجب ان اطيع الاوامر المرسومة علي" فاجابهُ الامبراطور نعم انهُ يجب على الجندي ان يتم الاوامر التي تعطى لهُ وانني ممنون لك على هذه الحاسيات اللطيفة التي اظهرتها واوصيك بالقيام بحق اوامرك . وبعد دقائق قليلة انصرفت حيوة مكسيمليان الاول امبراطور المكسيك ويحكى عن كيفية قتل هذا الامبراطور المنكود الحظ بنوع فظيع وهو انهُ بعد مادار بينهُ وبين الضابط من الحديث اطلق عليهِ خمس طلقات منها اربع رصاصات خرقن بطنهُ وواحدة صدرهُ اما الرصاصة التي اصابتهُ في

صدرهِ فخرقت خاسرتهُ اليمنى والتهب رداءهُ فسقط على الارض باحشا يديهِ وقدمهِ واجتذب من المهِ زرردائهِ بيدهِ اليمنى وحينئذٍ تقدم خادمهُ وصب على صدرهِ ماء لتخف لهيبهُ فاطلق عليهِ جاويش الطابور الطلق الاخير فاجتازت الرصاصة في صميم قلبهِ وانهت حياتهُ المعذبة

وفي اليوم الثاني علق في المكسيك الاعلان الآتي

فرديناند مكسيمليان دي هبسبورج ارشيدوق النمسا المتوامر مع نابوليون الثالث ليختلس من المكسيك استقلاليتها ونظاماتها الذي قد اختلس ظلمًا سلطنتهُ واتخذ لنفسهِ لقب امبراطور . المنزل بارادة الشعب والمستاسر بقوة الجمهورية في كوارترو في الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٨٦٧ والمحاكم طبقًا للقوانين على ذنبهِ الذي ارتكبهُ ضد حرية الشعب والمحكوم عليهِ بالموت في مجلس الحرب قد قتل في كوارترو في ١٩ حزيران سنة ١٨٦٧ في الساعة السابعة صباحًا مع

جنراليهِ ميرامون وميجيا فليعطوا الراحة الدايمة

وعلمت اوروبا بقتلهِ بعد مضي اثني عشر يوما وبنهاية تلك الحرب المحزنة المكسيكية فادرج المونيتور الفرنساوي الكلام الاتي. ان الخبر الذي ازاع منذ ايام كثيرة وحرك روح الغيظ والاحتقار في جميع القلوب قد وصل رسميا من امريكا وهو ان الامبراطور مكسيمليان قد قتلهُ المكسيكيون برصاصهم في ١٩ حزيران بامر جوارز فسقط امام اولئك الاشقياء قتيلاً. وان هذا الملك المنكود الحظ الذي قد عرفتهُ جميع قوات اوروبا نظير ملك المكسيك الشرعي منذ اربع سنوات لم يكن راغبًا بترك هذه البلاد بعد سفر الجيش الفرنساوي ومع مخاطر ومهالك تلك التجريدة قد عزم قاسما بشرفهِ ان يستعمل الجهد الكلي في خلاص من كان من تبعتهِ وحزبهِ فجمع جيشا ليس بقليل بنشاط وهو في مقدمة احزابهِ واخذ لهُ مركزًا ضعيف التحصن في كوارترو ومع ما كان

عليهِ من حالتهِ المكربة كان قادرًا على الذهاب مع
جنودهِ مارًا في الجبال غير انهُ لم يطرق ذهنهُ ما
سيدهمهُ من الخيانة فان رجلاً يدعى لوبز قد وثق بهِ
الامبراطور وسلم امر نفسهِ اليهِ واركن لهُ فسلمهُ الى اعدائهِ
بينما كان نايمًا منفردًا وقد اخذ على ذلك مبلغًا من
النقود . ولا بد من ان يجعل قتل هذا الامبراطور تذكارًا
عامًا . وان هذا العمل الذميم الذي جرى بامر جوارز
يخط على جباه الرجال الذين يفتخرون بانهم نواب
الجمهورية المكسيكية اسطر شين لا تمحى ولعنة من جميع
الشعوب المتمدنة على حكومة قد وضعت في مقدمتها
رئيسًا مثل هذا . وهكذا كانت حيوة وموت مكسيمليان
وكل انسان يسمع بهذا الحكم الفظيع لا يتمالك نفسهُ
عن القلق المكرب . ان التاريخ وحدهُ لسبب ابطائهِ
يحفظ سكينتهُ ويعلم جيدًا كيف يحوم فوق الاميال . اما
ساعتهُ فلم تات بعد

الخاتمة

مهما كان الحكم الذي يبرزه المستقبل على مكسيمليان فتاريخه لا يكون اقل من تلك التواريخ المحزنة التي تخلد في حافظة البشر

لن ابتدأ سيرته بكر تذكير منتهى قصص الجبابرة ان اميرة شابة من اجمل واحذق نساء العالم تتزوج بامير عظيم شجاع كريم ذي صروح شامخة مشيدة . ذهب ازل لا تحصى . قد وسوس لها روح خبيث في اذانهما قائلا لها هذه الكلمات المشؤومة السحرية . انكما ستحكمان فحكما . فاذًا ليس ذلك انتصارا كما يظنان . ان ذلك هو القتال . القتال المنتشب بدون رحمة والمقرون بكثير من الجبايات فكل يوم اياد عديمة الاصطبار وسواعد قوية كانت تتهدد عرش الملك العديم التمكن فيجب اذًا ابعاد هذه السواعد وقطع هذه الايادي بالسيف فيسيل بحر دم يغمر العرش والتاج معا ويذهب بهما

ان الملكة الواقعة في الياس والضعف شعرت بذهاب عقلها فجنت والامبراطور بعد ان تركهُ احلافهُ وباعهُ صاحبهُ سقط مع امناه تحت رصاص الجلادين فامتزجت الشناعات بالشناعات وتلاقت الانتقامات بالانتقامات واخذ الثارات صبغ الجبهات بشين الدم وكللها باكاليل كريهة

التشبيه الاخير مثالة نادرة. ان المركب الذي كان قد اتى قبلاً بالامبراطور وقرينتهِ الى شواطي البلاد المتمناة وهو رافع اعلام الفرح ومزين بالزهور قد اتى اليوم وهو مكتسٍ بثوب الحداد بالجثة التي كانت غرضا للرصاص وهي جثة امبراطور المكسيك الاخير

انتهى

